تخطيط القاهرة وتنظيمها

منذ نشأتها

بقلم

حسن عبد الوهاب

كبير مفتشى الآثار الاسلامية

١٩٥٧

مطابع دار النشر للجامعات المصرية

علاء الدين الشيتى وشركاه (شركة توصية بالأسهم)

٤١ شارع [illegible] - بالقاهرة

اهداءات ٢٠٠٠

المرحوم ا.د. فريــد الشافعــي
أستاذ العمارة الإسلامية - القاهرة

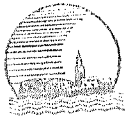
تخطيط القاهرة وتنظيمها

منذ نشأتها

بقلم

حسن عبد الوهاب

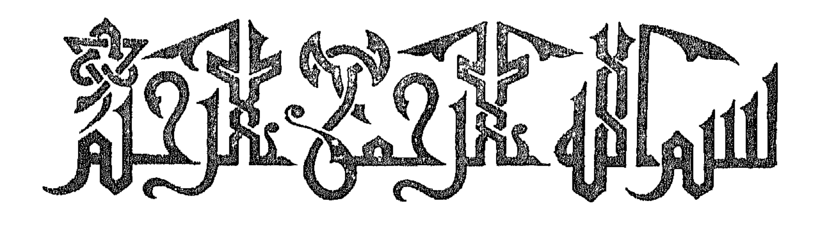
كبير مفتشي الآثار الاسلامية



١٩٥٧

مطابع دار النشر للجامعات المصرية
علاء الدين الشيتي وشركاه (شركة توصية بالأسهم)
٤١ شارع شريف - بالقاهرة




بسم الله الرحمن الرحيم



تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها*

بقلم

حسن عبد الوهاب

كبير مفتشي الآثار الاسلامية

عنيت الشعوب الإسلامية بتخطيط المدن التى أنشأتها عقب الفتوحات الإسلامية ، وراعوا فى تخطيطها القواعد الصحية من شق شوارع ، وعمل ميادين ورحاب ، وتقسيمها إلى شوارع وسكك وحارات وأزقة .

وقد تضمنت قوانين تخطيط المدن الخروج بالمدافن والمصانع المقلقة إلى أطراف المدينة ، كالحدادة ، ومصانع الزجاج ، وقماين الجير والطوب ، والبعد بالأسواق عن مقر الحكم .

وكذلك خصصت لكل صناعة سوقاً خاصة بها ، كما خصت التجارات بأسواق لاحقت بعضها عرفت بها الأخطاط الواقعة فيها .

وعندما كانت تنشأ مدن جديدة ، امتداداً لمدن أخرى سبقتها ، كانت تخصص المدينة الجديدة أولا لسكنى الوالى ، أو الخليفة وحاشيته ، والمقربين منه ، وهذا ما فعله القائد جوهر حينما أنشأ مدينةالقاهرة سنة ٣٥٨ هـ — ٩٦٩م امتداداً للفسطاط والعسكر والقطائع . فانه أعدها لتكون دار خلافة ينزلها الخليفة وعساكره وخواصه ، وهكذا كانت الحالة فى أطراف المدينة حينما كان يسكنها الخلفاء أو الملوك ، فانها تكون سبباً فى عمران ماحولها .

(*) محاضرة ألقيت بالمجمع العلمى المصرى فى جلسة ٤ ابريل سنة ١٩٥٥ .

شرع جوهر فى بناء سور حول المدينة ، وأذن للقبائل بأن تختط كل قبيلة خطة عرفت بها ، ثم أنشأ جامع القاهرة (الأزهر) ، والقصر الشرقى الكبير ، واحتفر الخندق فى الجهة الشمالية ، وقد لوحظ أن الحارات التى اختطتها القبائل كانت قريبة من الأسوار والحارات كحارات : الروم ، وزويلة ، والبرقية .

ومن دراسة القاهرة على ضوء ما كتب عنها ، تبين أنها خططت وقسمت إلى ميادين ورحاب أمام القصور وفيما بينهما ، وأمام مبانيها الرئيسية ومساجدها.

وكان أمام القصر الكبير وفيما بين القصرين الكبير والصغير فى الدولة الفاطمية ، ميدان فسيح كانت تقام فيه حفلات استعراض الجيش ، حيث كان يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل . وعلى الجانب الغربى لهذا الميدان ، أقيم القصر الصغير الغربى . وعلى جزء من أرضه الآن منشآت المنصور قلاوون . فعرف هذا الميدان ثم الشارع فيما بعد (بين القصرين) . وكان يوجد بجوار القصر الغربى ميدان آخر ، موضعه المنطقة المعروفة بالخرنفش ، وبجواره البستان الكافورى المطل على الخليج .

وباستقصاء مواقع ملحقات القصرين القاطميين ، عرفنا أنه كان يتوصل إليها من شوارع متسعة ، وحولها الميادين والرحاب ، وهذا ما نراه بصورة مقربة على الخريطة التى وضعها مسيو رافيس استناداً إلى المراجع التاريخية ، وأخالفه فى وضعه باب الفرج على الخليج ، فقد كان فى شارع تحت الربع .

وقد وصف القاهرة الطبيب أبو الحسن على بن رضوان « بأن ارتفاع الأبنية(١) فيها دون أبنية الفسطاط ، وأن أزقتها وشوارعها أنظف منها ، وإذا تأملنا حال القاهرة كانت بالإضافة إلى الفسطاط أعدل وأجود هواء وأصلح حالا » .

وقال ناصر خسرو الرحالة الفارسى وقد زارها سنة ٤٤١ هـ — ١٠٤٩ م يصف تخطيطها : « ويقع قصر السلطان فى وسط القاهرة ، وهو طلق من جميع الجهات ، ولا يتصل به أى بناء ، وكل ما حوله فضاء .... ويبدو هذا القصر

---

(١) ٣٦٥ — ٦٦ ج ١ مقريزى (المواعظ والاعتبار) .

—٣—

من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة .... »[١].

واستطرد فى الوصف إلى أن قال : « وليس للمدينة قلعة ، ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعاً من القلعة . وكل قصر حصين . ومعظم العمارات يتألف من خمس أو ست طبقات » .

غير أن المعز لدين الله حينما قدم إلى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ — ٩٧٣ م لم يرق فى نظره موقعها لأنها بغير ساحل ، ووجه اللوم إلى جوهر وقال له : « فاتك بناء القاهرة على النيل عند المقس (ميدان المحطة) ، فهلا كنت بنيتها على الجرف؟ (منطقة الرصد)[٢] » وله كل الحق فى نقده ، فان منطقة الرصد التى أشار اليها منطقة جميلة تشرف على النيل والجبل وبركة الحبش ، وجمعت بين السهل والجبل ، وبين الخضرة والماء ، وقد وصفها الشاعر الأشبيلى أبوالصات أمية ابن عبد العزيز بقوله :

يا نزهة الرصد المصرى قد جمعت	من كل شيء حلا فى جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا جبل	والضب والنون والملاح والحادى

وخير وصف لها ، ذلك الذى وصفها به أمير مصر موسى بن عيسى ، إذ خرج يوماً إليها فقال لمن حوله :

« أتتأملون الذى[٣] أرى ؟ قالوا وما الذى يرى الأمير ؟ قال : أرى ميدان رهان ، وجنان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، وذروة جبل ، وجبانة أموات ، ونهراً عجاجاً ، وأرض زرع ، ومراعى ماشية ، ومرتع خيل ، وساحل بحر ، وصائد نهر ، وقانص وحش ، وملاح سفينة ، وحادى إبل ، ومفازة رمل ، وسهلا وجبلا ، فهذه ثمانية عشر متنزهاً فى أقل من ميل فى ميل » .

---

(١) سفرنامه ص ٤٨ تعريب الدكتور الخشاب .

(٢) ص ١٢٨ جـ ١ المواعظ والاعتبار للمقريزى ، ٣٧١ جـ ٣ صبح الأعشى ، اتعاظ الحنفا ص ٧٤ ، وهذا المرتفع الصخرى على يسار الذاهب إلى المعادى ، تجاه منطقة أثر النبى .

(٣) المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٥٣ .

وإذا كان فات جوهر ما أشار به المعز لدين الله واختار موقع القاهرة بنظرته العسكرية ، فان الخلفاء الفاطميين لم تفتهم مواطن الجمال فى أطراف القاهرة والفسطاط والجزيرة ، فانتفعوا بها وبشاطىء النيل ، وحافتى الخليج ، وشبرا ، حيث كانت الخضرة والماء ، فأنشأوا المناظر والحدائق ، وكانوا يقضون فيها أوقاتاً سعيدة . وكان لانتفاعهم بتلك المناطق أثر كبير فى تعميرها بخاصتهم والمقربين منهم ، فامتد العمران إلى خارج أسوار القاهرة .

وفى سنة ٤٨٠هـ ـ ١٠٨٧م وسع القاهرة الوزير بدر الجمالى من حديها الشمالى والجنوبى ، وأجاز السكنى فيها ، فامتد عمرانها إلى أطرافها وخارج أسوارها ، فصار يقال لأبنية مدينة القاهرة داخل السور. ولما خرج عن أسوارها ظاهر القاهرة ، وأنشئت فيها أخطاط جديدة بعد أن كانت فضاء تشغله البساتين ، هذا عدا حدها الشرقى فيما بين السور والجبل ، فان الحاكم بأمر الله أمر أن تلقى أتربة القاهرة خلف السور لمنع السيول من دخول القاهرة ، فصار منها تلك الكيمان التى تعرف بكيمان البرقية بنهاية شارع الدراسة ، وهى الجارى رفعها الآن بهمة مشكورة .

وفى دولة السلطان صلاح الدين ، ثم فى دولة المماليك ، امتد العمران ، وخاصة فى دولة الناصر محمد بن قلاوون ، حيث زادت القاهرة بمقدار النصف ، وصارت القاهرة والفسطاط مدينة واحدة تمتد من العباسية إلى بركة الحبش (أثر النبى) ومن النيل إلى المقطم [١].

وكان لتحولات النيل فضل كبير فى توسيع رقعة مصر والقاهرة .

ويصفها ابن فضل الله العمرى المؤرخ الجغرافى فى القرن الرابع عشر الميلادى بقوله :

« ولم تزل القاهرة فى كل وقت تتزايد عمارتها ، وتتجدد معالمها ، خصوصاً بعد خراب الفسطاط [٢] سنة ٥٦٤ هـ ـ ١١٦٨م وانتقال أهلها إليها حتى صارت

---

(١) المقريزى المواعظ الاعتبار جـ ١ ص ٣٦٥ .

(٢) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٧٠ .

على ماهى عليه فى زماننا من القصور العليّة ، والدور الضخمة ، والمنازل الرحيبة ، والأسواق الممتدة ، والمناظر النزهة ، والجوامع البهجة ، والمدارس الرائعة ، والخوانق الفاخرة ، مما لم يسمع بمثله فى قطر من الأقطار ، ولا عهد نظيره فى مصر من الأمصار » .

هذه لمحة عن نشأة القاهرة ، وتطورها الذى ساير الزمن فامتدت شمالا وجنوباً وغرباً ، وهاهى ستمتد شرقاً بفضل إزالة كيمانها ، تلك النقطة السوداء وسط صحيفتها البيضاء . وإنشاء مدينة المقطم ، ومدينة النصر بالعباسية الشرقية .

هذه المدينة الزاهرة كانت موضع رعاية الحكومات المتعاقبة عليها ، والإشراف على جميع مرافقها حتى نمت وتدرجت مع الزمن ، كما توضحها المصورات الجغرافية .

تنظيم القاهرة

لم يكن تخطيط المدن جزافاً ولا ارتجالا ، فقد وضعت القوانين للتخطيط منذ الفتح الإسلامى ، وعنيت الشريعة الإسلامية بتنظيم تخطيط المدن ، ففى سنن أبى داود : أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بأن ينادى فى معسكره ، بأن من ضيق منزلا أو قطع طريقاً فلا جهاد له ، وذلك حينما لاحظ تضييق صفوف الأخبية فى ميادين القتال (١).

وقال شارح السنن : إنه لا يجوز تضييق الطريق التى يمر فيها الناس ونفى جهاد من فعل ذلك على طريقة المبالغة فى الزجر والتنفير .

وقد وضع عمر بن الخطاب دستوراً لإنشاء المدن ، أذاعه على فاتحى الأمصار ومنشئيها فى صدر الإسلام ، فجعل محور المدينة المسجد بحيث تتفرع الشوارع حوله ، وأن تكون المناهج أربعين ذراعاً . وما يليها ثلاثين ، وما بين ذلك عشرين ، والأزقة سبعة أذرع والقطائع ستين (٢).

(١ ، ٢) التراتيب الادارية ص ٢٨٢ ج ١ .

وكذلك تناول المشرع الإسلامى قوانين سعة الشوارع والطرق ، وتناولها فى أحكامه . واتفقوا على أن الطريق النافذ مباح المرور فيه لكل إنسان لأنه حق للمسلمين ، فليس لأحد أن يبنى فيه أو يخالف خط جاره (خط التنظيم فلا[١] يبرز عنه ، كما وضعوا قوانين لإقامة الأسبطة(٢) ، واشترطوا أن تكون مرتفعة بحيث يمر المحمل ، أو الفارس على جواد ورمحه قائم ، وحرموا بناء المساطب وغرس الأشجار أمام الدور ، ما دام يترتب على غرسها تضييق الطريق) .

ووضعوا فى حكم المنافع العامة الشوارع الخاصة التى أبيح استعمالها ، ومثلها الشوارع التى اصطلح الملاك على تركها من أملاكهم ، والطرق التى تشقها الدولة ، فلا يجوز شغلها ، ولا تضييقها صوناً لنقوش الجدران فى وجهات المساجد والدور ، وتيسيراً للمرور ، ولتوفر الهواء والنور ، شددوا على سعة الشوارع .

وقد تركوا الحرية لمن ينشىء شارعاً خاصا ، ولكنهم فضلوا أن يكون متسعاً على أن لا يقل عن سبعة أذرع .

وفى مشروعات نزع الملكية ، لتوسيع الشوارع والحارات ، ولتوسيع المساجد ، اتبعت طريقة المفاوضة مع المالك ، فاذا لم يتم الاتفاق يودع الثمن المقدر فى بيت المال ، ويستولى على العقار [٣] وهو ما نتبعه الآن .

على ضوء هذه القوانين ، وما استجد بعدها تبعاً لتدرج العمران ، وضعت القوانين الخاصة بتنظيم الطرق ، وإزالة ما يعترضها ، وحددت سلطة المحتسب الذى يقوم بتنفيذها .

والحسبة قانون مدنى ، فيدخل فى اختصاص المحتسب وأعوانه حمل الناس على المصالح العامة فى المدينة ، وقد جمع اختصاصه بين الشرطة والصحة والبلدية ، فيدخل فيه إصلاح الشوارع ، والإشراف على نظافتها وإضاءتها وتوسيعها ،

---

(١) الفوائد الباهرة فى حكم شوارع القاهرة (خط) .
(٢) الساباط : ممر بين منزلين من أعلى
(٣) ٤٦ فتوح البلدان طبع أوروبا .

والتشديد على أن يكون البناء على خط التنظيم ، فلا يخرج فى الشارع عن سمت جارة . ويمنع الجلوس على الأفاريز والخروج بالميازيب أعلى الجدران والبروز بسقائف أو مساطب أمام الحوانيت والحكم[1] على الملاك بازالة المبانى المتداعية وهدم ما يتوقع منه ضرر على السابلة [2] ، وقفل الطريق عند إزالة الخلل صوناً للأرواح [3]، وهذا ما حصل عند ما هدمت منارة جامع المؤيد سنة ٨٢١ هـ ١٤١٨ م فان باب زويلة أغلق ثلاثين يوماً .

ومن سلطة المحتسب ، أن لا يرخص باقامة مصانع للصناعات الثقيلة أو مدابغ أو مصانع زجاج أو قماين طوب أو جير إلا خارج المدينة .

وقد بلغ من التشديد فى تنفيذ تلك القوانين ، النص على إزالة المبانى المعترضة للطريق ، أو التى تقفله وهدمها ، ولو كان المبنى مسجداً [4] .

ومن اختصاص المحتسب منع شغل الطريق بتشوين المون[5] وأدوات البناء ، إلا لفترات قصيرة مدة نقلها ، وله حرية إباحة الخروج بالمشربيات ، وإقامة الأسبطة ومبازيب المياه وآبار المجارى طبقاً لسعة الشوارع .

وفى مستهل القرن الرابع عشر الميلادى ، كان من واجبات والى القاهرة ، القيام بتحسين المدينة وتزيينها ، فيأمر بعمارة مافى الدور من خلل ، وتعمير مافيها من خراب ، والاهتمام بتوسعة رحابها ، وتعلية ساباطاتها وسقائف أسواقها ، ولا يمكن أحداً من تضييق الطريق أو إحداث مايضر بالمارة . وأن ينظر فى تنظيف الطرق والرحاب من الأوساخ إن كانت من بيت المال ، وإلا فيأمر السكان بنظافة ماحولهم[6] . وكذلك الخروج بالصناعات المقلقة ، وقماين حريق الجير ، والمدابغ ومسابك الزجاج إلى خارج المدينة .

---

(١) ابن الأخوة (معالم القربة) ص ٧٨ — ٧٩ .
(٢) خطط الشام جـ ٥ ص ١٣٦ .
(٣) ١٢٥ جـ ٥ على باشا مبارك (الخطط الجديدة) .
(٤) نهاية الأرب جـ ٦ ص ٣١٤ .
(٥) نهاية الأرب جـ ٦ ص ٣١٤ .
(٦) آثار الأول فى ترتيب الدول ص ١٦٥ .

وكذلك وجدت وقفيات يصرف منها على تعديل الطرق ورصفها[1] ذكرها ابن بطوطة عند ذكر الأوقاف بدمشق بقوله :

« ومنها الأوقاف على تعديل الطرق ورصفها، لأن أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان فى جنبيه يمر عليهما المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك .

النظافة

ويدخل فى اختصاص المحتسب منذ إنشاء القاهرة ، الإشراف على النظافة ومنع إلقاء القمامة فى الشوارع، وعدم الإفراط فى رش الماء مما يتسبب منه الزلق. كما يلزم الملاك بازالة الأوحال من امام دورهم ومحالهم . ويمنع هز المون وسط الطريق أو ترك مخلفات العمارة ، ويشدد على أصحاب الأسواق بكنسها ورشها[2] ومداومة نظافتها ، ومنع طرح القمامة بجوار الطرق .

أما المساجد فقد رصد فى وقفيتها مبالغ تصرف لمن يقوم بالنظافة والرش أمامها وحولها . وهذا ماتضمنته وقفية الغورى[3] فقد رصد فيها مرتب للكناس والرشاش للطرقات تجاه بابى المدرسة ، وحول القبة والخانقاه .

كذلك يحتم على ناقلى السماد إحكام تغطيته عند نقله ، حتى تنقطع رائحته فلا يتأذى الناس منها ، ويأمر بمنع ربط الدواب فى الطريق حتى لاتعوق السير .

وإلى سنة ١٢٢٩هـ — ١٨١٣م كان والى القاهرة وأعوانه من الشرطة يمرون فى الشوارع والأسواق ملزمين السكان والتجار بنظافتها ورشها[4] .

ظل المحتسب يشرف على تنفيذ أوامر النظافة إلى أن أنشئت أقسام البوليس فى أوائل القرن التاسع عشر ، وأذيع على أقسام البوليس ورؤسائها ومشايخ الأقسام التعليمات الواجب عليهم اتباعها والمنشورة فى الوقائع المصرية الصادرة فى ١٧ صفر سنة ١٢٤٦ هـ — ١٨٣٠م وقد جاء فيها :

---

(١) رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ٦٠ .

(٢) معالم القربة ص ٧٩ .

(٣) الخطط الجديدة جـ ٥ ص ٦٣ .

(٤) الجبرتى جـ ٤ ص ٢٠٤ .

« ينبغى عند صبيحة كل يوم أن يقوم أهل الأسواق بكنس ورش المنطقة أمام دكاكينهم وأن سكان المنازل يكنسون ويرشون أمام بيوتهم ، فاذا ضبط مندوب أمير الاى المحروسة أناساً يلقون القاذورات ، يضربهم ضرباً خفيفاً ، ويحذرهم من العودة إلى ذلك ، وعلى أقسام البوليس تأديب من يتأخر عن النظافة أمام بيته أو دكانه؛ ويجب المناداة بذلك والتنبيه على مشايخ الحارات بمراقبة التنفيذ .

أما المنشآت الحكومية ، فينبه على نظارها بالإشراف على نظافة ماحولها . وما يكون حول القلعة يكلف بنظافته سقّا باشى القلعة .

ويقوم بنظافة المحلات الخربة سقّا الحارة ، وأجرته على الموسرين من السكان .

وفى سنة ١٨٣١م عينت الحكومة الموظفين لمراقبة النظافة ومراقبة تنفيذ[١] تلك التعليمات ، كذلك حددت أماكن لإلقاء الأتربة (المقالب) ، فلا يلقى فيها إلا باذن . كما حددت أماكن لإيداع القمامة تودع فيها إلى أن تنقل وتلقى فى البحر ، وهذا ماحدده الأمر الصادر من مجلس الملكية فى ٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٩ هـ — ١٨٣٣ م وقد أذن بخروج الأتربة المخلفة من عمارات قصور قنطرة الدكة ، والأزبكية من أبواب القاهرة ، المعتاد إخراج الزبالة وفضلات القاهرة منها ، إلى خارج المدينة .

وأن يأمر كذلك ناظر الترسانة باتمام إنشاء القوارب اللازمة لنقلها إلى خارج المدينة ، والتى تجمع بشونة المسكنة بساحل البحر إلى البحر الأبيض المتوسط مراعاة للصحة العامة[٢] .

مكافحة التسول

لم يكن الاهتمام بالقاهرة قاصراً على نظافتها من القاذورات ، بل شمل نظافتها من المناظر المنفرة ، فقد كوفح أصحاب العاهات ومفتعلوها ، ذلك أنه فى سنة ٦٦٤ هـ ١٢٦٥ م ، أمر السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى بجمع أصحاب العاهات ،

---

(١) تاريخ الإدارة الصحية ص ٣٦ .

(٢) وثيقة رقم ١٨ دفتر ٧٩٦ ديوان خديوى .

فجمعوهم بخان السبيل بالحسينية (١) ، ثم نقلوهم إلى الفيوم ، وأفردت لهم بلدة تغل للصرف عليهم بما يكفيهم ، وأراحوا الناس من مضايقاتهم ، غير أنهم لم يستقروا بها وتفرقوا ، ورجع كثير منهم إلى القاهرة .

والعناية بالفقراء ووقايتهم شر السؤال موجودة فى جميع أدوار التاريخ منذ فجر الإسلام ، ومنذ الدولة الفاطمية انشئت الربط لإيواء الفقراء من الرجال والنساء ، وما خصص منها للنساء كان بمثابة دور كفالة للمرأة ، وكان للنساء فضل إنشاء الكثير منها فى دولتى المماليك ، إلى القرن الثامن عشر ، وكانت تلك الربط تؤوى النساء الفقيرات والعجائز والأرامل والبنات حتى يتزوجن ، والمطلقات حتى يعدن إلى أزواجهن أو يتزوجن .

وكان يختار لرآسة تلك الربط ، سيدات اشتهرن بالعلم والحزم لتعليم المقيمات بها وصيانتهن ، وإلى الآن ما زالت بقايا تلك الربط موجودة «كرباط خوند زينب بالخرنفش» .

وكثيراً ما كانت الحكومات تجمع المتسولين إذا لاحظت عليهم تمرداً دعاها ذلك إلى مكافحتهم بشتى الوسائل ، ذلك أنه فى سنة ٧٧١ هـ — ١٣٦٩ م أمر السلطان شعبان بجمع المتسولين وتوزيعهم على الأمراء والتجار لإعالتهم ، كل حسب مقدرته وثرائه ، ونودى فى القاهرة بعد ذلك أن لا يتصدق أحد على متسول(٢) .

وفى سنة ١١٠٦ هـ — ١٦٩٤ م وقع غلاء بمصر ، فعزت الأقوات على الفقراء فاهتم بهم اسماعيل باشا والى مصر ، فجمع الفقراء والمتسولين ووزعهم على الأمراء والتجار للإنفاق عليهم ، وخص نفسه بجانب منهم ، إلى أن انقضى الغلاء (٣) .

وفى ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٢١٥ هـ — ١٨٠٠ م صدرت الأوامر بجمع المتسولين وخصصوا أماكن لإقامتهم ، وعهدوا إلى نظار الأوقاف بالصرف عليهم (٤) .

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ قسم ٢ ، ص ٥٥٣ والتحفة الملوكية ص ١٩ .
(٢) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان للعينى جـ ٢٤ قسم ٢ ص ١٨٣ .
(٣) تقويم النيل جـ ٢ ص ٦٥ .
(٤) عجائب الآثار للجبرتى جـ ٣ ص ١٣٨ .

وفى أوائل القرن التاسع عشر جمع الغلمان المشردون وألحقوا بالمصانع المنشأة وقتئذ .

مكافحة المناظر المحزنة والدجالين

وكذلك وجهت العناية إلى مكافحة المناظر المحزنة والدجالين التى تخالف تعاليم الدين فكان المحتسب منذ الدولة الفاطمية يمنع النساء من الخروج خلف الجنازات كاشفات وجوههن ورؤسهن ، ويعاقب النائحات إلى حد النفى [١].

وفى سنة ٨٢٤ هـ — ١٤٢١ م منع المحتسب النساء من النياحة على الأموات[٢].

وفى شوال سنة ٩١٠ هـ — ١٥٠٤ م أمر السلطان الغورى بأن ينادى فى القاهرة بأن لا يعمل عزاء بطارات ، ولا نائحة تنوح على ميت . ثم أوعز إليه على نائحة عملت عزاء بطارات ، فقبضوا عليها ، ولطخوا وجهها بالسواد وعلقوا طاراً فى عنقها وأركبوها حماراً ، وشنعوا عليها فى أنحاء القاهرة . وكان هذا سبباً فى إقلاع النساء عن تلك العادات [٣].

وكذلك كافحوا الدجالين الذين ينصبون على النساء ويغررون بهن . فقد صدرت أوامر الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٣ هـ — ١٣٢٣م بالقبض على المنجمين وتسليمهم إلى والى القاهرة ، فضربوا وحبسوا ، ومات منهم تحت العقوبة أربعة [٤] .

ومن ذلك ما فعله الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٣ هـ من ذبحه للعنزة التى كان يدجل بها الشيخ عبد اللطيف خادم السيدة نفيسة ، وتوبيخه والتشهير به بوضع جلدها على عمامته وطوافه بالقاهرة وسط الطبول والأشاير [٥] .

---

(١) معالم القربة فى أحكام الحسبة ص ٥١ .
(٢) نزهة النفوس والأبدان ص ١٠٣ (خط) .
(٣) ابن اياس ج ٤ ص ٧٦ .
(٤) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦١ .
(٥) عجائب الآثار ج ١ ص ٣٦٢ .

تمهيد الطرق

لم تقف العناية عند تنظيم الطرق وتوسعتها ونظافتها ، بل شملت تمهيدها وتعبيدها حتى يمكن السير والجر عليها ، فقد كان عمر بن الخطاب يعهـد إلى أهل الذمة باصلاح الجسور والطرق [١] كما ثبت أن عبد العزيز بن مروان فى ولايته على الفسطاط سنة ٦٥ هـ — ٦١٤ م اهتم بتعبيد الطرق ، وأعد لها الأدوات اللازمة . ليمكن السير والجر عليها [٢] وكذلك تضمنت التعليمات التى كانت تصدر إلى والى الفسطاط عند تعيينه [٣] ، التشديد على نظافة المسالك والساحات ، ومنع توعير السبل ، والطرقات ، وكانت الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم مصر تقوم بين آونة وأخرى ، بتمهيد الطرق وقطع ماارتفع منها [٤] باعتبار ذلك من الأعمال الرئيسية للدولة .

وقد بلغ من الاهتمام بتنظيم الطرق وإعدادها وتنسيقها ، احتساب الاهتمام بها من حسنات الملك أو الوالى المهتم بها . كما ورد فى ترجمتى الأمير منجك[٥] اليوسفى والملك[٦] الأشرف أينال ؛ فقد عد من حسناته أنه وسع شارع بين القصرين .

وفى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، اشترك والى الشرطة مع المحتسب فى تنفيذ تلك الأوامر ، فكان يلزم سكان الدور والحوانيت بتمهيد الطريق أمامهم[٧] .

وممن لهم أثر مشكور فى العناية بالطرق ، الأمير يشبك من مهدى دوادار الملك الأشرف قايتباى ، فانه فى سنة ٨٨٢ هـ — ١٤٧٨م شرع فى توسعة الطرق

---

(١) التراتيب الادارية ج ١ ص ٢٨٣ .
(٢) التراتيب الادارية ج ١ ص ٢٨٤ .
(٣) صبح الأعشى ج ١ ص ٣٣٦ .
(٤) المقريزى ج ٢ ص ١٠٧ (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) .
(٥) المنهل الصافى لابن تغرى بردى ج ٣ قسم ٣ ص ٣٦٧ .
(٦) الضوء اللامع للسخاوى ج ٢ ص ٣٢٩ .
(٧) التبر المسبوك فى ذيل السلوك للسخاوى ص ٣٦ .

والشوارع والأزقة ، وخاصة الشارع الرئيسى للقاهرة من باب الفتوح إلى باب زويلة ، وتبييض الدكاكين ووجهات الربوع ، وعهد إلى القاضى فتح الله السوهاجى أحد نواب الشافعية ، بأن يحكم بهدم ماوضع فى الشوارع والأسواق بغير طريق شرعى ، من أبنية ، وسقائف ، ورواشن ، ومساطب[١] واستمرت تلك العملية إلى سنة ٨٨٣ هـ — ١٤٧٩ م حيث أمر أيضاً باصلاح وجهات المساجد ، وطلاء رخامها ، فحصل بذلك نفع كبير .

وكان لتوسيع الطرق وتمهيدها أثر كبير فى الكشف عن وجهات المساجد المطلة على الشارع الرئيسى (المعز لدين الله) . وعين للإشراف على تنفيذ تلك الأعمال ، ملاحظاً للطرق[٢] . كان يستحث الناس على سرعة إنجاز أعمال البياض والدهان ، حتى صارت القاهرة كأنها مستجدة البناء والزخرف ، وكذلك اهتم بتجميل شوارع القاهرة السلطان الناصر[٣] أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباى ، فانه أمر فى سنة ٩٠٤ هـ — ١٤٩٨ م بأن ينادى فى القاهرة بأن جميع أصحاب الحوانيت التى بالأسواق والشوارع يبيضون وجوهها ، ويزخرفونها بالدهان ، ثم أمر بتبييض وجوه الرباع المطلة على الشوارع .

وكذلك اهتم السلطان الغورى بتمهيد الطرق وتعبيدها . فألزم السكان بالقيام بهذا العمل فى سنة ٩٠٩ هـ — ١٥٠٣ م[٤] .

وإلى سنة ١٢٣٣ هـ — ١٨١٧ م كانت الحكومة تلزم السكان بتمهيد الطرق ، إذ فى هذه السنة كلف بهذه المأمورية مصطفى أغا المحتسب ، فنادى فى المدينة وأمر الناس بقطع أرضية الطرقات والأزقة حتى العطف والحارات الغير نافذة[٥] .

ولم تغفل كتب اللغة شؤون الطرق ، فعالجت مسمياتها فى معاجمها ، وقد عكف على جمعها الباحث المدقق السيد سليم الجندى وسماها « رسالة الطرق »

---

(١) ابن اياس ج٢ ص١٧١ — ١٧٧ ، النزهة السنية فى ذكر الخلفاء والملوك المصرية ص ١٣٥ .
(٢) تاريخ مصر لابن إياس ج ٢ ص ١٧٧ .
(٣) تاريخ مصر لابن اياس ج١ ص ٣٤٦ .
(٤) تاريخ مصر لابن اياس ج ٤ ص ٥٩ .
(٥) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى ج ٤ ص ٢٩٠ .

ونشرها تباعاً فى تسع مقالات فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، بدأها فى الجزأين السابع والثامن من المجلد الثامن عشر (جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦٢ هـ — ١٩٤٣ م) ، وانتهى منها فى المقال التاسع المنشور فى الجزأين السابع والثامن من المجلد العشرين سنة ١٩٤٥ .

تجميل القاهرة

من تلك الأخبار نقف على أمر هام ، وهو أن العناية لم تقتصر على تعبيد الطرق وتمهيدها بالقاهرة ، بل تعدتها إلى تجميلها ، مما دعاهم أيضاً إلى ستر الخرائب عن العيون ، كما نفعل الآن بوضع لوحات الإعلانات عليها .

ذلك أنه لما استولى الخراب فى زمن المستنصر بالله أمر الوزير أبو محمد اليازورى ببناء جدار يستر الخرائب عن نظر الخليفة الفاطمى حينما يتوجه من القاهرة إلى الفسطاط ، وذلك فيما بين العسكر والقطائع ، وكذلك أقام جداراً آخر عند جامع أحمد بن طولون [١] .

وفى خلافة الآمر بأحكام الله عهد إلى وزيره أبى عبد الله محمد بن فاتك بتعمير الخرائب والفضاء فيما بين باب زويلة والسيدة نفيسة ، فنادى فى القاهرة وأمر بأن من كانت له دار فى الخراب أو مكان يعمره ، ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شىء من أنقاضه ، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له فى شىء منه ، ولا حكر يلزمه . فعمرت الخرائب وأصبحت المنطقة عامرة ، وأصبحت القاهرة لا تتخللها خرائب [٢] .

وكذلك نقلت أنقاض مدينة العسكر ومهدت ، فصار الفضاء فيما بين السيدة نفيسة إلى كوم الجارح (وهى المنطقة التى مهد جزء من كيمانها . والمعروفة بتلال زين العابدين .

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٢٠ .

ولأهمية بركة الفيل باعتبارها من أجمل متنزهات القاهرة ، عنى الناصر محمد بن قلاوون ، بتجميلها والمحافظة على رونقها ، فأمر فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى ، باقامة حائط بطولها [١] ليحجب الأجزاء التى لم تعمر من جهة الجسر الأعظم .

فرش الرمل الأصفر

وعلى ذكر تجميل القاهرة أذكر أن مصر عرفت فرش الرمل الأصفر فى حفلاتها الرسمية منذ ألف عام ، فقد كان نظام حفلات الاستقبال فى الدولة الفاطمية يقضى بفرش الرمل فى الطريق المؤدى إلى القصر الفاطمى [٢] وأمامه ، وهذا ما كان متبعاً بمصر إلى وقت قريب جداً .

ظلت العناية بتعبيد الطرق ، وإصلاحها وتجميلها موكولة إلى سكان القاهرة حتى عنيت بها الحكومة وأصدرت أوامرها فى سنة ١٨٤٨ م ، بتعيين أربع بلوكات من ديوان الجهادية للقيام بتسوية وتمهيد الطرقات والشوارع فى كل من نواحى الموسكى ، والأزبكية [٣] وبولاق .

القضاء على الخرائب

وكذلك وجهت العناية إلى إزالة الدور المتخربة ، والقضاء على الخرائب التى تشوه القاهرة ، فصدرت الأوامر فى سنة ١٨١٦م باعداد تجريدة من المهندسين للكشف على دور القاهرة ، فان وجدوا بها خللا أمروا باصلاحه أو هدمه ، وذلك على أثر [٤] سقوط منزل .

وتعجيلا لعمرانها والقضاء على خرائبها ، صدر قرار آخر بتعمير الخرائب ، سواء أكانت مملوكة أم موقوفة ، وذلك فى سنة ١٨٣١ م بعد إحصائها جاء فيه :

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ١٦٥ .

(٢) المواعظ والاعتبار للمقريزى ج ١ ص ٤٣٣ .

(٣) الوقائع المصرية العدد ١٠٦ الصادر فى ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٦٤ هـ .

(٤) عجائب الآثار للجبرتى ج ٤ ص ٢٥٣.

«يؤذن بالقرار الصادر بشأن خرائب القاهرة التى أحصتها اللجنة برئاسة أمين أفندى ، وعضوية الباشمهندس الحاج مصطفى قوله ، والشيخ حسن أبو صفيحة مندوب المحكمة الشرعية . والتى تبين من إحصائها أن عدد الخرائب بأقسام البوليس السبع [1] بالقاهرة بلغ ٢٥٨ خرابة ليس فى مقدور مالكيها القيام بترميمها ، فهذا القرار يعرض بأن تقسم هذه الخرائب إلى قسمين قسم تراه الحكومة لازماً لها فتأخذه وتعمره ، والقسم الآخر تتخذ الإجراءات اللازمة لبيعه لمن حوله من الجيران الموسرين الذين يستطيعون بناءه وتشييده » .

هذا ما يتعلق بالأعيان المملوكة ، أما الأعيان الموقوفة فقد صدر بشأنها أمر فى سنة ١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م نصه :

« يؤذن بقراره الصادر بشأن ٩٧٨ عيناً من عقارات الأوقاف كانت لجنة إحصاء خرائب القاهرة ذكرت فى تقريرها أن نظار الأوقاف التابعة لهم أخذوا على عهدتهم أن يرمموها [2] .

وبما أن معظم هذه المحال لم تمسها يد الإصلاح إلى الآن ، فالمجلس يرى وجوب قيدها فى الديوان الخديوى ، مع إرغام نظارها على الوفاء بعهدهم ، على أن لايضن عليهم بتقديم المعونة اللازمة من قبل ناظر الأبنية الأميرية .

وفى سنة ١٨٣٧ م صدر قانون بمعاينة المساكن الآيلة إلى السقوط وإزالتها هى والحيشان والدور المتخربة المستعملة كزرايب ومستودعات للقاذورات ، والتنبيه على أصحابها ببنائها مساكن ، وذلك فى ظرف ثلاثين يوماً ، وإلا عرض العقار للبيع ، فان لم يتقدم مشتر اشترته الحكومة ، وإن كان تابعاً لوقف تنبه على ناظره بالبناء ، فان لم يستطع يصير استبداله [3] .

---

(١) وثيقة رقم ٨٦ (١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٤٧) دفتر تركى ٧٨٤ .
(٢) وثيقة رقم ١٩١ (١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٤٧) .
(٣) تاريخ الادارة الصحية فى مصر ص ٣٨ — ٣٩ .

إزالة الـكيمان وغرس الأشجار

وفى سنة ١٨٢٩ م أزيلت الـكيمان المجاورة للقصر العالى (جاردن سيتى) والمعروفة بكوم العقارب، وكان مسطحها تسعة أفدنة ، فأزيلت فى ٣٩٣ يوماً .

وكذلك أزيلت التلال فيما بين الناصرية وجاردن سيتى ومساحتها ٣٨ فداناً وغرست بأشجار الزيتون وغيرها [١] .

وكذلك أزيلت الأكمة ، التى كانت تسد الطريق إلى شبرا ، بجوار قنطرة الليمون وحولت إلى متنزه عام [٢] .

وفى سنة ١٤٨٦ استعجل الأمر الصادر بتوسيع أزقة وفتح شوارع الموسكى وقطع كوم سلامة ، وشوارع بولاق وفم الخليج والقلعة [٣] .

وفى سنة ١٢٦٠ هـ — ١٨٤٧م حولت المنطقة عند كوبرى الليمون إلى متنزه عام غرست فيه أنواع الزهور والأشجار [٤] .

وفى سنة ١٢٦٣ هـ — ١٨٤٧ م شرع فى توسعة الشارع من باب الحديد إلى الظاهر ، والمتصل بطريق السويس [٥] ، كما أجرى توسيع شوارع درب الجماميز ، وباب الخلق ، والمشهد الحسينى ، ثم غرست الأشجار فى الشوارع ،ومهد طريق متسع بين مصر وشبرا غرست على جوانبه أشجار الجميز واللبخ ، كان من أجمل متنزهات مصر .

وكذلك ردمت بركة الأزبكية وحولت إلى متنزه عام[٦] .
ثم غرست الأشجار على جانبى الشوارع الكبيرة . وحينما ظهرت آثارها

---

(١) الوقائع المصرية رقم ١١٤ (٢ رمضان سنة ١٢٤٥) .
(٢) تقويم النيل جـ ٢ ص ٥٣٢ .
(٣) الوقائع المصرية .
(٤) الوقائع المصرية .
(٥) الوقائع المصرية عدد ٧٥ (١٣ شعبان سنة ١٢٦٣) .
(٦) الوقائع المصرية رقم ٨٩ فى ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ .

من تجميل المدينة وتلطيف الجو ، صدرت الأوامر بغرسها على حافتى طريق الرميلة وقره ميدان(١) .

التغييرات الجوية

وكانت تصادر نشرة عن الظواهر الجوية فى الوقائع المصرية تحت عنوان (ميزان هواى مصر) .

ظهرت لأول مرة فى الوقائع المصرية الصادر فى غاية ذى القعدة سنة ١٢٤٤هـ ١٨٢٩ م .

مجلس الاشراف على تجميل القاهرة

فى ٨ ذى الحجة سنة ١٢٥٩ — ديسمبر سنة ١٨٤٣ م ، صدر أمر بانشاء مجلس للإشراف على تزيين وتجميل المحروسة ، وتعديل طرقها ، أسوة بما استحدث فى الإسكندرية ، وهذا المجلس مؤلف من :(٢) رشيد افندى مفتش الأبنية الأميرية ، لينان افندى مهندس القناطر ، مصطفى بهجت رئيس قلم الهندسة بديوان المدارس .

مجلس تنظيم المحروسة

ورد ذكر هذا المجلس سنة ١٢٦٤ هـ — ١٨٤٧ م فى الأمر الصادر بترقيم الدور وتسمية شوارع المحروسة .

وفى ٥ شعبان سنة ١٢٨٤ هـ — ٢ ديسمبر سنة ١٨٦٧ م ، صدر أمر بتشكيل مجلس بلدى وفصل إيراد مدينة القاهرة ومصروفها من نظارة المالية ، وإسناد إدارتها إلى هذا المجلس ليعمل على تنظيم المدينة ، وليكون له الحق فى تنظيم ميزانيته ، وصرف ما يراه مناسباً للأعمال النافعة ، شأنه فى ذلك شأن المجالس البلدية فى سائر الممالك(٣) .

---

(١) الوقائع المصرية عدد ٩٧ بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٢٦٤ .
(٢) دفتر ٢٠٩١ ورقة ١٤ ديوان المدارس .
(٣) إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ص ١١٦ .

من ذلك الوقت أخذت الحكومة فى الإشراف بنفسها وعلى نفقتها القيام بأعباء كل تلك الأعمال .

كورنيش النيل

وعلى ذكر العناية بالنيل ، وتنفيذ عمل الكورنيش عليه من حلوان إلى القناطر الخيرية ذلك العمل الخالد فى تاريخ مصر الحديث . وأنصع صفحة من صفحات حكومة الثورة العمرانية . أذكر أن النيل كان موضع الرعاية والاهتمام بترك شاطئه خالياً من البناء ، ولكنهم قديماً صبغوا قوانين تخليته بصبغة دينية ، فحذروا الناس من السكنى على شاطئه مباشرة ، وقالوا : إن الجالس على النيل كالجالس على الطريق[1] ، لأن البحر طريق للمرور فيه بالمراكب ، وذلك منعاً لكشف عورات المسلمين ، وللبعد عن سماع فحش الكلام من النوتية وغيرهم ، صوناً للبنات والنساء .

ثم ذكروا أن العلماء نصوا على أن حرّم العيون خمسمائة ذراع ، وحرم الأنهار ألف ذراع .

وفى أخريات سنة ٧٠٨ هـ — ١٣٠٨ م أمر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير باقامة جسر على النيل من القاهرة إلى دمياط ، وذلك حينما وصلت إليه الأخبار بأن ملك قبرص تآمر مع غيره من ملوك الفرنج على غزو دمياط ، فاجتمع الأمراء واتفقوا على تنفيذ الجسر من القاهرة إلى دمياط . خشية أن تكون حركة الفرنج فى زيادة النيل فيتعذر الوصول إلى دمياط ، وعهد إلى الأمير آقوش الرومى بتنفيذه . فكتب الأمراء إلى بلادهم بخروج الرجال مع الأبقار كل فى منطقته ، وصدرت الأوامر إلى الولاة بمساعدة الأمير آقوش بالرجال والأبقار . فسارت الأعمال بهمة خارقة ، حيث عمل فى تنفيذه ٣٠٠ جرافة بستمائة رأس بقر ، وثلاثين ألف رجل ، إلى أن فرغ فى نحو شهر واحد ، فكانت المسافة من قليوب إلى دمياط تقطع فى يومين . وعرض الطريق من أعلاه أربع قصبات ومن أسفله ست قصبات يسير فيه ستة رؤوس من الخيل صفا واحداً .

(١) المدخل لابن الحاج جـ ١ ص ٢٤٦ —— ٢٤٨ .

فعم النفع به . وسلكه المسافرون بعد ما كان يتعذر المرور فيه أيام فيضان النيل لغمره بالماء .

الاضاءة

كانت الإضاءة تعم الشوارع والحارات فى الفسطاط ثم فى القاهرة ، ذلك أنه فى سنة ٣٨٣ هـ — ٩٩٣ م أمر الخليفة العزيز بالله باضاءة المصابيح على الدور وفى الأسواق[١] . وفى ذى الحجة سنة ٣٩١ هـ — ١٠٠٠ م أمر الحاكم بأمر الله أن توقد القناديل فى سائر البلد على جميع الحوانيت وأبواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ، فنفذت أوامره . ولازم الحاكم بأمر الله الركوب فى الليل ، وكان ينزل كل ليلة إلى المدينة متفقداً شوارعها وأخطاطها وأزقتها ، فتبارى السكان فى الإضاءة ، وزينت القياسر والأسواق بأنواع الزينة [٢].

ولم تكن الإضاءة قاصرة على الدور والشوارع والحوانيت ، بل ألزم بها المشاة ، فكل إنسان يحمل فانوساً يضيء له ، ومنها الصغير للفرد والكبير يسير به الضوى أمام سادته . هذا عدا المشاعل التى تتقدم المواكب .

والطريف فى أمر الإضاءة فى المواكب ما اتخذ منها لمنع التصادم ومنع الخطر فى الليل ، وأول من حمل الشمع معه على البغال فى الليل محمد بن طغج الأخشيد منذ عشرة قرون ونصف . فكانت الشمعة تحمل على مؤخر البغل وفراش راكب أمامها يلتفت إليها بين آونة وأخرى يصلحها أو يضيئها ، ولاشك فى أنه كان يسير فى مؤخر الركب ، بل وفى مقدمته أيضاً [٣].

ومنذ ذلك الوقت شاع استعمال الفوانيس التى تحمل على البغال مع الفانوسية أمام وخلف ركب الملوك فى الليل . وظلت أوامر الإضاءة على الدور والأسواق منفذة على سكان مصر تصدر بشأنها الأوامر بين آونة وأخرى[٤] ، إلى أن كان

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى ج ٢ ص ١٠٨ .
(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى ج ٢ ص ١٠٨ .
(٣) صبح الأعشى ج ١ ص ٤١٦ .
(٤) عجائب الآثار للجبرتى ج ٣ ص ٤١

عهد الحملة الفرنسية بمصر سنة ١٢١٣هـ—١٧٩٨م فإنهم أمروا بإبطال القناديل التى كانت توقد فى الليل على الدور والدكاكين . وأن يوقدوا عوضاً عنها فى وسط السوق مجامع فى كل مجمع أربع قناديل ، وبين كل مجمع ٣٠ ذراعاً ، يقوم بذلك الأعيان دون الفقراء ، ثم عادت الإضاءة إلى نظامها القديم .

مكافحة الحريق

كان فى مدينة الفسطاط فى عهد والى مصر عبد العزيز بن مروان ، فرقة إطفاء مكونة من خمسمائة عامل لمكافحة حريق طارئ فى البلد(١) أو هدم ، ولقد شملت أوامر الإضاءة أمام الدور والدكاكين منذ الدولة الفاطمية ضرورة وضع زير مملوء بالماء أمام كل حانوت مخافة حدوث حريق فى مكان فيطفأ بسرعة (٢) .

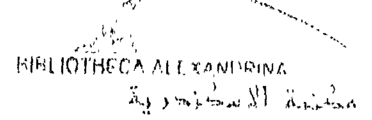
ولما كثرت الحرائق فى سنة ٤٠٥ هـ — ١٠١٤ م أمر الحاكم بأمر الله باتخاذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوءة ، وإزالة السقائف التى على أبواب الحوانيت والرواشن التى تظالل الباعة فنفذت أوامره بالفسطاط والقاهرة (٣) .

وفى سنة ٥١٧هـ — ١١٢٣ م أمر الوزير المأمون الواليين بمصر والقاهرة ، باحضار رؤساء السقائين وأخذ التعهدات عليهم باستعدادهم للحضور كلما دعت الحاجة إليهم ليلا ونهاراً . ورتب عدداً من العتالين كى يبيتوا على باب كل معونة (مركز الشرطة) مع عشرة من الفعلة ومعهم الطوارق والقرب مملوءة بالماء . على أن تتكفل الحكومة بنفقاتهم (٤) .

وبمناسبة الحرائق التى حدثت بمصر والقاهرة سنة ٧٢٠هـ — ١٣٢٠م نودى فى القاهرة بوضع زير أو دن مملوء بالماء عند كل حانوت ، وأن يقام مثل ذلك فى الحارات(٥) والأزقة .

---

(١) المقريزى المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٧٨ .
(٢) المقريزى المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٠٧ .
(٣) المقريزى المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٠٨ .
(٤) المقريزى المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٦٣ .
(٥) المقريزى المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٥١٤ .



وإلى القرن الخامس عشر كان والى الطوف (صاحب العسس) يجلس كل ليلة بعد العشاء فى منطقة الغورية وأمامه مشعل وحوله عدة من الأعوان وكثير من السقائين ، والنجارين ، والقصارين ، والهدادين بنوب مقررة لهم ، خوفاً من أن يحدث فى القاهرة حريق بالليل ، فيتداركون إطفاءه ، ومن حدث منه فى الليل خصومة ، أو وجد سكراناً ، أو قبض عليه من السراق ، تولى أمره والى الطوف ، وحكم عليه بما تقتضيه الحال[١].

مصلحة الاطفاء

ظل الشعب بالاشتراك مع الحكومة يكافح الحرائق إلى حوالى سنة ١٨٤٥م حيث أنشىء قسم لطلمبات الحريق (مصلحة الإطفاء) وإلحاق تسعين جندياً به ، وإيداع طلمبة فى كل خط من أخطاطها ، واستحضرت الأدوات اللازمة لصنع آلات الإطفاء بمصر .

ثم صدرت التعليمات إلى المشرفين على المطافىء بأن يرفعوا عقب كل حريق تقريراً عن أسباب الحريق ، وبيان الخسائر ، والمدة التى أخمد فيها الحريق .

وتحدثنا الوقائع المصرية عن نماذج لبعض الحوادث ووصفها ، ننشرها بنصها :

« فى ١٠ شوال سنة ١٢٦٣ هـ — ١٨٤٧ م وصل الخبر إلى الضبطية بظهور حريق فى الساعة الرابعة من ليلة ٢٧ رمضان الماضى فى منزل على الزيات بباب الشعرية ، فأرسلت الضبطية ما لزم من الطلمبات والطلومبجية ، وحصل تدارك الحريق بطلومبة الخط المذكور أيضاً ، فحصل إخمادها سريعاً ، ولكنه نفق بسببها بقرتان وثوران وحمار .

ونشرت فى العدد الصادر فى ١٧ شوال سنة ١٢٦٣هـ — ١٨٤٧م أن مخزن الليف ببولاق ملك الشيخ محمد صقر ، ظهرت به حريقة فى الساعة الثانية من يوم الجمعة الموافق نهاية الشهر الماضى ،ولما وصل خبره إلى الضابطخانة أرسلت من طرفها ومن طرف الطلومبخانة بعض الطلمبات مع مأموريها وبذلوا

(١) المقريزى المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ٢ ص ١٠٣ .

جهدهم الزائد مع الطلمبجية المختصين ببولاق ، فأخمدوها ، ولم يحترق سوى جانب من ليف كان موجودا بالمخزن (١) .

وفى فبراير سنة ١٨٧٥ م تحرر من وزارة الخارجية إلى الحكومة الانجليزية بطلب انتداب اليوزباشى شو رئيس فرقة المطافئ بلوندرة ، لاستشارته فى الإجراءات التى تتخذ ضد الحريق ، وتنظيم فرقة المطافئ بالقاهرة ، والإقامة لهذا الغرض بضعة أيام للإدلاء برأيه فى هذا الشان (٢) .

وكان الإطفاء بواسطة آلات تدار بالبخار ، تجرها جياد دربت أحسن تدريب كانت تتحرك من أماكنها بمجرد سماعها جرس الحريق وتقف فى مكانها من سيارة الإطفاء ، وظلت مستعملة إلى أن استبدلت بسيارات الإطفاء فى سنة ١٩٢٠ .

تسمية الشوارع وترقيم الدور

عهدنا بالشوارع والحارات والرحاب فى القاهرة أن تطلق عليها أسماء التجارات والصناعات التى تشغلها ، كما أطلق عليها أسماء بعض القبائل والأفراد كما هو واضح ومدون فى أول الجزء الثانى من خطط المقريزى ، وما هو وارد فى الحجج القديمة .

وفى سنة ١٨٤٧ م وبعد أن نظمت القاهرة وشقت فيها الشوارع ، وغرست بها الأشجار وأضيئت ، رؤى تسمية الشوارع وترقيم الدور ، فصدر الأمر بذلك فى سنة ١٢٦٢ هـ — ١٨٤٧ م مستهلا بتلك الديباجة :

«لما كانت كتابة أسماء الأزقة بمصر المحروسة على محل يناسبها فوق زواياها ، وتنمير البيوت الكبيرة والصغيرة برقم نمرها بأعلى أبوابها أو بجانبها ، كأسلوب أوروبا ، مما يستوجب المنافع العظيمة للمملكة ، ويورث السهولة لمن يقصد زقاقاً أو بيتاً ، سواء كان من الأهالى أو من الأجانب ، استقر الرأى بمجلس

---

(١) الوقائع المصرية عدد رقم ٨٣ سنة ١٢٦٣هـ — ١٨٧٤ .

(٢) إسماعيل كما تصوره الوثائق ص ١١٧ .

تنظيم المحروسة ، على التدابير اللازمة لذلك ، طبق الإرادة السنية ، واندرج بيانها تفصيلا فى نسخ الوقائع المنمرة برقم ٦٤ وحصل فى هذه الأيام الشروع فى إجراء ذلك ابتداء من باب الخلق بمقتضى الترتيب الآتى ذكره أدناه وهو خمسة عشر بنداً :

(البند الأول)

حيث إن خليج مصر المحروسة ماراً من وسطها تقريباً ، وكان باب الخلق متصلا بالخليج المذكور ، ومركزاً لمصر المحروسة ، استنسب أن تكون الجادة الممتدة من باب الخلق إلى القلعة ، تسمى بشارع القلعة[1]، ويكتب على رأس زوايا تلك الطرق اسم شارع القلعة وتكتب نمر البيوت الكائنة هناك على أرضيات بيضاء بمداد أسود ، يحيط بها برواز لونه كلون مداد الأحرف، وتنمر البيوت التى عن يمين المار بباب الخلق بنمرة الوتر ، والتى عن يساره بنمرة الشفع ، أى تكون التى فى الجهة اليمنى غير مزدوجة ، والتى فى الجهة اليسرى مزدوجة إلى انتهائها بناحية القلعة .

(البند الثانى)

أن تسمى الطريق الممتدة من باب الخلق إلى مبرك النوق المعبر عنه الآن بباب اللوق بشارع باب اللوق . وابتدأ بالنمر من باب الخلق على الوجه المشروح بالنسق المذكور فى الأحرف والبرواز والأرضية .

(البند الثالث)

إن الجادة الممتدة من باب السيدة زينب البرانى، إلى غاية قرەقول باب الخلق تسمى بشارع السيدة زينب ، ويكون لون أرض لوحتها أصفر ، ولون أحرفها وبروازها أحمر .

(البند الرابع)

إن الطريق الممتدة من باب الخلق إلى زاوية الموسكى ، تسمى بشارع باب الخلق ويكون لون أحرفها أحمر كذلك ، وأرضية لوحتها صفراء .

---

(١) كان الشارع الرئيسى الموصل الى القلعة من باب الخلق هو تحت الربع ، فالدرب الأحمر فالتبانة ، فباب الوزير حيث لم يكن شارع محمد على موجوداً وقتئذ .

(البند الخامس)

إن الجادة التى من زاوية الموسكى إلى غاية باب العدوى ، تسمى بشارع الشعرانى ، وتكون أحرفها حمراء أيضاً ، وأرض لوحتها صفراء .

(البند السادس)

إن الطريق الممتدة من قره قول السيدة زينب إلى القلعة ، تسمى بشارع الرميلة ، وتكون أحرفها وبروازها بالمداد الأسود ، وأرضيتها بيضاء .

(البند السابع)

إن الجادة الذاهبة من قره قول الصليبة إلى باب زويلة ، تسمى بشارع الصليبة ، ويكون لون خطها أحمر على أرضية صفراء .

(البند الثامن)

إن الطريق الممتدة من السيدة نفيسة إلى قره قول الصليبة ، تسمى بشارع السيدة نفيسة ، ويكون لون خطها وبروازها أحمر ، وأرضيتها صفراء .

(البند التاسع)

إن الجادة المتمدة من باب زويلة إلى سبيل الجمالية ، تسمى بشارع الغورى ، ويكون لون خطها وبروازها أحمر ، على أرضية صفراء .

(البند العاشر)

إن الطريق الممتدة من سبيل الجمالية إلى باب الفتوح ، يعبر عنها بشارع باب الفتوح ، ويكون لون خطها وبروازها أحمر ، وأرضيتها صفراء .

(البند الحادى عشر)

إن الجادة التى من السبيل المذكور إلى باب النصر ، تسمى باب النصر ، ويكون لون خطها وبروازها أحمر ، وأرضيتها صفراء .

(البند الثانى عشر)

إن الجادة الكائنة من قره قول باب الشعرية إلى الباب الجديد ، يعبر عنها بشارع الباب الجديد ، ويكون لون خطها وبروازها أسود .

(البند الثالث عشر)

إن الطريق التى من القره قول المذكور إلى باب الفتوح ، تسمى بشارع مرجوش ، ويكون لون خطها وبروازها أسود .

(البند الرابع عشر)

إن الطريق الممتدة من زاوية الموسكى إلى الاسبتالية (١) الملكية الكائنة بالأزبكية تسمى بشارع الموسكى ، ويكون لون خطها وبراوزها أسود .

(البند الخامس عشر)

إن الطريق الممتد من شارع باب الخلق ، إلى شارع الغورى ، تسمى بشارع الحمزاوى ، ويكون خطها وبراوزها أسود .

وأعقب البند الخامس عشر هذا التعليق :

« لما كانت الشوارع المحررة أعلاه إذا كتبت أسماؤها على الحيطان تحصل فيها مشقة على من يكتبها ولا تتحصل بسرعة كما ينبغى ، بل تطول مدتها ولا يمكن كتابتها مع الراحة بسبب ذهاب الناس وإيابهم فى الأزقة ، ومرور الحيوانات ذوات الأحمال والعربات أيضاً ، استنسب أن تحرر أسماؤها على ألواح ثم تعلق عليها وتسمر بالمسامير .

ومن حيث أن نمر البيوت ليست بالمثابة المذكورة لزم أن تكون كتابتها فوق الأبواب أو بجانبها حسب الاقتضاء . وإذا كانت النمر المذكورة ترتب على قدر طول الشوارع كما ذكر . ومن المعلوم أن كل شارع منها يشمل محلات كثيرة مسماة باسماء مشهورة ، استنسب أن تكون كتابة اسم الشارع المشتمل على النمر فى ألواح الزوايا بخط جلى وأن يكتب اسم المحل تحته بخط رفيع بالنسبة إليه ، حتى أن كل من نظر إلى اللوحة يعلم اسم المحل الذى هو فيه .

ولما كان من مقتضيات الإرادة السنية إتمام مامورية تنمير البيوت التى فى الأزقة الآتى ذكرها بسبب ما حصل من اجتهاد المأمورين والعمال الذين عينوا لذلك وشرع فى وضع نمر ما بقى من البيوت . وعند انتهائها يدرج ذكرها فى الوقائع ليكون معلوماً للعامة .

(البند السادس عشر)

إن الجادة الممتدة من قنطرة السيدة زينب إلى باب حارة الزير المعلق بآخر شارع درب الحجر ، تسمى بشارع الناصرية ، تكتب نمرتها بالمداد الأحمر .

---

(١) هى دار الشفاء التى كانت بالعتبة الخضراء .

(البند السابع عشر)

إن الطريق الممتد من قنطرة سنقر إلى باب الزير المعلق ، تسمى بشارع درب الحجر ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الثامن عشر)

إن الطريق التى من باب قره قول سويقة السباعين ، بشارع الناصرية إلى حارة السقايين . تسمى بشارع درب الحمام وتكتب نمرتها بالمداد الأسود .

(البند التاسع عشر)

إن الطريق التى من باب الزير المعلق الكائن بدرب الحجر إلى بيت شربتجى باشا ، تسمى بسكة الزير المعلق ، وتكون نمرتها بالمداد الأحمر .

(البند العشرون)

إن الطريق التى ابتدأوها من شارع درب الحجر المارة من عابدين المنتهية إلى جادة باب اللوق ، تسمى عابدين ، وتكون نمرتها حمراء .

(البند الحادى والعشرون)

إن الجادة الممتدة من شارع باب اللوق المارة تجاه بيت حضرة الباشا مدير المالية المنتهية إلى الجبانة ، تسمى بشارع البيدق ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الثانى والعشرون)

إن الطريق التى تمتد من باب الخوخة إلى شارع باب اللوق ، تسمى بشارع البلاقسة ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الثالث والعشرون)

إن الطريق الممتدة من باب درب أبى الليف إلى شارع الشيخ ريحان، تسمى بشارع حارة السقايين ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الرابع والعشرون)

إن الطريق الممتدة من درب باب أبى الليف بشارع الناصرية إلى باب حارة السقايين ، تسمى بشارع أبى الليف ، وتكون نمرتها حمراء .

(البند الخامس والعشرون)

إن الجادة الممتدة من شارع الأستاذ الحنفى إلى جادة الناصرية ، تسمى بدرب القرودى ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند السادس والعشرون)

إن الطريق الممتدة من قنطرة السيدة زينب إلى عطفة عمر شاه ؛ تسمى بشارع الدرب الجديد . والطريق الممتدة من باب عطفة عمر شاه الموصلة إلى شارع الهياتم ودرب القرودى ، تسمى بشارع سويقة اللالة ، والطريق الممتدة من الشارع المذكور إلى جادة الناصرية ، تسمى بشارع الحنفى ، وتكون نمر هذا الطريق بالمداد الأحمر ، والطريق التى من جادة الحنفى إلى سبيل الخليج ، تسمى بشارع الهياتم ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند السابع والعشرون)

إن الطريق الممتدة من قنطرة عمر شاه إلى شارع الدرب الجديد ، تسمى بشارع عمر شاه ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الثامن والعشرون)

إن الطريق الممتدة من جادة درب الجماميز إلى عطفة كورأغلى ، تسمى بشق العرسة ، ونمرتها تكون سوداء .

(البند التاسع والعشرون)

إن الطريق التى تمتد من جادة حضرة السيدة زينب إلى عطفة الشيخ السادات ، تسمى بعطفة كورأغلى ، ونمرتها تكون سوداء .

(البند الثلاثون)

إن الجادة التى تمتد من قنطرة درب الجماميز إلى شارع الحنفى ، تسمى بشارع خليل طينة ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الحادى والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من شارع السيدة زينب المارة نحو بيت الشيخ السادات المنتهية إلى بركة الفيل ، تسمى بشارع السادات ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الثانى والثلاثون)

إن الجادة المبتدئة من أمام مسجد السيدة زينب الممتدة إلى الجهة الغربية من الخليج ، تسمى بحارة السيدة زينب ، ونمرتها تكون سوداء .

(البند الثالث والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من جانب قنطرة سنقر إلى عطفة قرا على بجوار الخليج تسمى بشارع الخليج ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الرابع والثلاثون)

إن الطريق المبتدئة من الباب المحازى لقنطرة الذى كفر المنتهية إلى شارع عابدين ، تسمى بشارع رحبة عابدين ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الخامس والثلاثون)

إن الطريق المبتدئة من باب حارة النصارى المارة من سوق الجمعة الممتدة إلى سويقة السباعين بجادة الناصرية ، تسمى بشارع سوق الجمعة ، وتكتب نمرتها بالمداد الأسود .

(البند السادس والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من باب حارة النصارى الكائن بشارع سوق الجمعة المتصل بقنطرة سنقر ، تسمى حارة النصارى ، ونمرتها تكون حمراء .

(البندالسابع والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من الباب القريب من درب الجماميز إلى شارع سوق الجمعة ، تسمى بسوق مسكة ، وتكون نمرتها حمراء .

(البند الثامن والثلاثون)

إن الزقاق الممتد من شارع الحنفى إلى سوق الجمعة ، يسمى بعطفة الفقوسة ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند التاسع والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من شارع السيدة نفيسة إلى سوق العصر المعادلة لجادة طولون ، تسمى بشارع درب الحصر ، ونمرتها تكون سوداء .

(البند الأربعون)

إن الطريق الممتدة من شارع طولون المنتهية إلى شارع الرميلة ، تسمى بسكة بير الوطاويط ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الحادى والأربعون)

إن الطريق الممتدة من أمام بئر الوطاويط الواصلة إلى باب البركة ، تسمى بسكة أزبك ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الثانى والأربعون)

إن الطريق الممتدة من عمارة حسنى باشا المارة على الشيخ نور الظلام ، الواصلة إلى جادة الصليبة قريباً من بيت محمود باك ، تسمى بسكة الشيخ نورالظلام ، ونمرتها تكون حمراء .

(البند الثالث والأربعون)

إن الطريق المتمدة من المحجر أمام بيت المرحوم ابراهيم باشا يكن ، الواصلة إلى شارع سوق السلاح ، تسمى بسكة الكومى ، ونمرتها تبدأ من جادة سوق السلاح ، وتكتب بالمداد الأسود .

(البند الرابع والأربعون)

إن الطريق الممتدة من أمام قره قول باب الوزير إلى سكة الكومى ، تسمى بعطفة الكوم الوسخة ، وتكون نمرتها سوداء .

(البند الخامس والأربعون)

إن الطريق المبتدئة من شارع القلعة الممتدة إلى سكة الكومى ، تسمى بدرب القزازين ، وتكون نمرتها حمراء .

(البند السادس والأربعون)

إن الطريق الممتدة من جامع ابراهيم أغا الكائن بشارع القلعة إلى جامع أصلان (أصلم) ، تسمى بدرب شغلان ، وتنمر بالمداد الأحمر .

(البند السابع والأربعون)

إن الطريق الممتدة من قرەقول التبانة الى الدرب المحروق ، تسمى بشارع النبوية وتنمر بالمداد الأحمر .

(البند الثامن والأربعون)

إن الطريق الممتدة من الدرب المحروق إلى باب المحجر ، تسمى بالدرب المحروق وتنمر بالمداد الأحمر .

(البند التاسع والأربعون)

إن الجادة الممتدة من جامع قجماس الكائن بالدرب الأحمر بشارع القلعة إلى الدرب المحروق ، تسمى بير المش[1] وتنمر بالمداد الأسود .

(البند الخمسون)

إن الطريق المبتدئة من باب الخلق الممتدة إلى جادة الحمزاوى ، تسمى درب سعادة ، وتنمر بالمداد الأحمر[2] .

ونشرت الوقائع المصرية فى عددها رقم ٨٤ فى ٧ شوال سنة ١٢٦٣ هـ ، أن الإرادة السنية تعلقت بتنمير المساكن والدكاكين والأزقة وجميع المحال بمصر والاسكندرية . كما صدر أمره العالى أن يتبع هذا النظام أيضاً فى رشيد ودمياط ، ثم باقى بنادر الوجه البحرى ، كالمنصورة ، وسمنود، وفوه وطنتدا، وأسيوط وغيرها من البنادر المماثلة لها ويكون ذلك بمعرفة الضباط الأربعة المكلفين بالتنمير بمصر المحروسة .

* * *

نخرج من هذا البيان بعدة فوائد: أولها تخطيط القاهرة فى القرن التاسع عشر مع بيان هام لأكبر شوارعها وبعض سككها المتفرعة منها، وبواباتها وتحديد بعض قره قولات البوليس بها، غير أننى أقرر أن لهذا البيان ملحقاً لم أقف عليه، لأنه لم يتناول أسماء الشوارع فى مصر القديمة ولا بولاق ؛ بالرغم من وجود لافتات بها ، ومع أنى عثرت على الكثير من لافتات الشوارع ونمر الدور فى المناطق الواردة

(١) رأيت هذه اللافتة على منزل خلف مسجد قجماس (أبو حريبة) . من الجهة البحرية الشرقية وقد هدم وأعيد بناؤه .

(٢) الوقائع المصرية العدد ٨٣ فى ٢٩ رجب سنة ١٢٦٣ هـ وتقويم النيل جـ ٢ ص ٥٤٧ — ٥٥٢ .

(٣) تقويم النيل جـ ٢ ص ٥٥٤ والعدد ٧ من الوقائع المصرية فى ٤ رمضان سنة ١٢٦٣ هـ .

فى هذا البيان وخاصة الشوارع الرئيسية ، فانى وجدت الكثير منها فى شوارع بولاق ، ومصر القديمة ، غير أنها لم ترد فى هذا البيان ، وهى مناطق أثرية آهلة بالسكان . كما أنه لم يتضمن مسميات الحارات فى المناطق التى سمى شوارعها [1] . بالرغم من وجود لافتات بها .

وقبل التحدث عنها ، أناقش التعليق الملحق بالبند الخامس عشر ، والمتضمن صعوبة كتابة أسماء الشوارع على الجدران ، لما فيه من مشقة على كاتبها بسبب مرور الناس والعربات ذات الأحمال ، واستحسان كتابتها على ألواح خشبية تعلق وتثبت .

والأمر الثانى تلوين بعض اللوحات فى مختلف الأحياء . فأذكر أن جميع اللوحات التى عثرت عليها من الجص المثبت على الجدران . وأن مسمياتها وألوانها تتفق مع ما جاء فى بنود البيان . كما أن الكثير من الكتابات بالمداد الأسود ، ووجدت فى أرضيات بعضها أثر التلوين ، وهذا يجعلنى أؤكد أنه حصل عدول عن كتابتها على ألواح خشبية وعن التلوين فى بعضها واستعيض عنها بألواح جصية . صبت وكتبت ثم لونت وركبت أو عملت على (بيتها) حسب اصطلاح الصناع وهو سر بقائها للآن . وكانت ملونة وفقدت تلوينها حيث وصلت إلينا مع مضى الزمن بيضاء أو حروفها بيضاء .

ومما يعزز أن تلك اللوحات عملت تنفيذاً للأمر الصادر سنة ١٨٤٧ ، مطابقة نصوصها للبيان كما أسلفت ، وأن جميع ماعثرت عليه منها مثبت على منشآت أثرية تسبق عصر محمد على أو على منشآته أو منشآت عصره ، وأذكر على سبيل المثال بعض الأماكن المثبتة عليها : باب الفتوح — باب زويلة — مسجد قجماس الإسحاقى بالدرب الأحمر — سبيل عمر أغا بشارع التبانة — مسجد إيتمش البجاسى برأس باب الوزير — سبيل العقادين (محمد على) بحارة الروم — مسجد الغورى منزل أوده باشى بالجمالية — بوابة السلحدار برأس حارة بيرجوان — دار المحفوظات بالقلعة ، وسور العلقة — باب درب اللبانة بالمنشية — مسجد مرزا ببولاق مسجد

(١) لعل البيان الذى ننشده هو المشار إليه فى العدد ٦٤ من الوقائع ، أو لعله السابق الوعد به فى التعليق على البند الخامس عشر . والقائل فيه « عند انتهاء التسميات يدرج ذكرها فى الوقائع ليكون معلوماً للعامة .

القاضي يحيى بشارع المحكمة ببولاق ، سبيل حبيش تحت الربع – سبيل السلطان مصطفى بميدان السيدة زينب – سبيل السلطان محمود بدرب الجماميز – مسجد قراقجا الحسني باللبودية – باب قايتباى بالسيدة عائشة – مدفن تمرباى الحسيني بشارع القادرية بالخليفة – سبيل القبرصلي بالفحامين – بوابة كنيسة أبى سرجة وحارة مار جرجس بمصر القديمة – وكالة المشنات ببولاق – سبيل محمد كتخدا بالداودية .

وجميع الأماكن التي ذكرت تسبق سنة ١٨٤٧ م ومنها ماهو من منشآت القرن التاسع عشر المنشأة قبل صدور الأمر بعمل اللوحات .

كما أنها لم توجد على منشآت معمارية بعد سنة ١٨٤٧ مما يجعلني أؤكد أن جميع ماعثرت عليه منها يرجع الى أول القرن التاسع عشر ، وفقط استعيض عن اللوحات الخشبية بلوحات جصية كانت أيسر تثبيتاً وبقاء .

وبدراسة الشوارع الرئيسية طبقاً لما ورد فى بنود هذا البيان ، وجدت لوحاتها الموجودة مطابقة لها . فقد نص البند الأول على تسمية الشارع الممتد من باب الخلق إلى القلعة ، باسم شارع القلعة ، فوجدت أن اللوحة المثبتة على البدنة الغربية لباب زويلة مكتوب عليها (شارع القلعة) بحروف سوداء تحتها لوحة بيضاوية صغيرة كان بها اسم الشارع الفرعى – لعله الدرب الأحمر(١) – وهذا يطابق ماورد فى التعليق الملحق بالبند الخامس عشر من كتابة اسم الشارع بخط جلى وكتابة اسم المحل تحته بخط رفيع بالنسبة إليه – كما وجدت لوحة مثبتة على سبيل عمر أغا أمام مسجد آق سنقر (ابراهيم أغا مستحفظان) بشارع باب الوزير مكتوب عليها شارع القلعة وعلى اللوحة البيضاوية تحتها الحربكية بخط فارسى صغير ، وقد اتفقت نصاً وتلويناً .

وجاء فى البند التاسع أن الجادة الممتدة من باب زويلة الى الجمالية ، تسمى بشارع الغورى ، ويكون لون خطها وبروازها أحمر وأرضيتها صفراء .

وبفحص اللوحة الموجودة على البدنة الشرقية لباب زويلة ، وجدتها مكتوباً عليها (شارع الغورى) وقد بدت بقايا الحروف بيضاء وبالأرضية أثر تلوين

---

(١) هو فعلا الدرب الأحمر لأن البند رقم ٤٩ اعتبر جامع قجماس الأسحاقى بشارع الدرب الأحمر .

يميل إلى الصفرة وعلى اللوحة البيضاوية تحتها كتب بخط فارسى (السكرية) ، وتبدو الحروف بيضاء لزوال التلوين . وقد اتفقت نصاً وتلويناً .

وينص البند العاشر على أن تسمية الطريق من سبيل الجمالية إلى باب الفتوح ، باب الفتوح تكتب باللون الأحمر — وبفحص اللوحة المثبتة على باب الفتوح تبين أنه كان مكتوباً عليها بالمداد الملون (باب الفتوح) .

وينص البند الثالث على تسمية الشارع الممتد من باب السيدة البرانى إلى قره قول باب الخلق ، شارع السيدة بحروف حمراء على أرضية صفراء وبرواز أحمر . وبفحص اللوحات التى عثرت عليها وجدت إحداها على مسجد قراقجا الحسنى مكتوب على الرئيسية منها شارع السيدة والفرعية درب الجماميز ، ويغلب على الحروف البياض مما يفيد فقدان اللون ، وفى الأرضية اصفرار .

والثانية على سبيل السلطان محمود ومكتوب عليها شارع درب الجماميز ؛ والفرعية ضلع (١) السمكة ، ويغلب على الحروف البياض مما يفيد فقدان اللون وفى الأرضية اصفرار .

وهذا يعزز ويؤكد اتفاق ما عثرت عليه فى أهم الشوارع مع ما جاء فى البنود نصاً وتلويناً .

وقد وجدت أثر التلوين فى أرضية لوحة سكة باب الوزير على مسجد إيتمش البجاسى بشارع القلعة القديم ، وجليا فى الإطار الأحمر حولها .

وقد اتفقت تلك اللوحات فى الوصف والمقاس ، فاللوحات الرئيسية مستطيلة مقاسها ٨٧ر٠ × ٤٧ر٠ سم والفرعية تحتها بيضاوية ، مقاس ٤٩ر٠ × ٤١ر٠ سم .

أما نمر الدور فيوجد الكثير منها على الدور السابقة للقرن التاسع عشر ومنشآت أوائله ، وهى مربع صغير من الجص أحيط باطار من البوية السوداء أو الحمراء يتوسطه الرقم باللون الأسود ، أو الأحمر ، ومنها ما هو مثبت على جانب الباب أو فوق عقده ، وقد وجدت منها الكثير فى مصر ورشيد والمنصورة .

---

(١) لم يرد فى البنود ذكر للتسمية الفرعية (ضلع السمكة) وقد ذكرها على باشا مبارك عند ذكره لمسجد كاتم السر الذى هدم فى توسعة الخليج وعند ذكره لتكية السلطان محمود فى الجزء الثالث ص ٩ من الخطط التوفيقية .

ومن البلدان التى عثرت فيها على لافتات بأسماء الشوارع (أسيوط) حيث وجدت لوحة على مسجد الكاشف ، ومدينة رشيد ، حيث وجدت عدة لوحات ، منها ما هو على مسجد الشيخ تقى ، وعلى منزل الأمصيلى ، وعلى منزل المناديلى والحاج يوسف بحارة الحاج يوسف ، وكلها أماكن منشاة فى القرنين الثامن عشر وأوائل التاسع عشر الميلادى وهى تطابق مثيلاتها فى مصر ، غير أنها خالية من اللوحات الفرعية .

ولا شك فى أن ما وجدته من لوحات أسماء الشوارع ونمر الدور فى مصر والأقاليم باقية من وقت صدور الأمر بعملها .

بوابات الحارات

بعد أن امتد العمران خارج القاهرة وأحدثت فى أسوارها أبواب جديدة لتعدد مسالكها ، أقيمت على الدروب والحارات أبواب لمنع السرقات ، ذلك أنه فى سنة ٨٦٤ هـ — ١٤٥٩ م كثرت السرقات ، فاهتم(١) الأغنياء باقامة البوابات على الحارات والدروب ، وعينوا لها البوابين فكانت تغلق عقب صلاة العشاء وبعضها كان يغلق عقب الغروب بقليل .

وقد نبهت الكتب المؤلفة فى سياسة الدول الإسلامية على ضرورة يقظة حارس الدرب ، وعدم السماح للغرباء بالدخول إلا بعد التحقق (٢) منهم ، والتحرى عنهم ، وأن يقوم بالتبليغ عن الحرائق والسرقات ، ولا يدلى بأسرار السكان لوالٍ أو لغيره .

وقد ورد ذكر أبواب الدروب والخوخات فى عدة حوادث من تاريخ القاهرة نذكر فقرات منها .

فى سنة ٩٠٣هـ — ١٤٩٧ م أمر والى القاهرة ، بأن ينادى باسم السلطان . بأن سكان الأسواق والحارات يعملون عليها دروباً ، فامتثلوا لأمره ، وبنيت بالقاهرة عدة دروب : منها ما هو على سوق تحت الربع وعلى سوق أحمد بن طولون ، وعلى سوق أمير الجيوش وغير ذلك من الأسواق والحارات . لأن المناسر كانت

---

(١) حوادث الدهور لابن تغرى بردى قسم ٢ ص ٣٣٢ .

(٢) معيد النعم ومبيد النقم ١٤٥ .

كثرت فى تلك الأيام ، وصاروا يهجمون على الأسواق والحارات[1] .

وفى سنة ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م أمر الأمير الماس والى الشرطة بالقاهرة بأن يعمر السكان على الحارات والأزقة دروباً فى أماكن شتى ، فعمروا دروباً فى رأس سوق الدريس ، وفى الحسينية ، وعلى قنطرة الحاجب ، وعندالمقس[2] وعدة دروب فى أماكن شتى ، وأن يعلقوا على كل دكان قنديلا ، وأن لا يخرج أحد من الناس من بيته بعد العشاء ، وذلك اتقاء لشر اللصوص وحدوث الحرائق المفتعلة .

وحينما كانت تقع اضطرابات سياسية أو غيرها كانت تغلق أبواب المدينة وأبواب الدروب والخوخات التى بالحارات . وهذا ما حدث فى[3] ٢٩ ذى القعدة سنة ٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م .

وقد حدثنا عن تلك البوابات الجبرتى فى عهد الاحتلال الفرنسى لمصر فقال :

فى سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م شرع الفرنسيون فى تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة ، وخرج عدة من عساكرهم يخلعون أبواب الدروب والعطف والحارات . كما خلعوا أبواب الدروب الغير نافذة أيضاً ، ونقلوا الجميع إلى بركة الأزبكية عند رصيف الخشاب .

وفى جمادى الأولى من تلك السنة خلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة الغير نافذة ، وهى التى تركت وسومح أصحابها وبرطلوا عليها . وكذلك دروب الحسينية ونقلوها إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية ، ثم كسروها وباعوها للوقود[4] .

ومن وصف الجبرتى نعلم أن البوابات استعملت بكثرة للحارات والدروب .

وفى أوائل القرن التاسع عشر وحينما استتب الأمن[5] صدرت الأوامر بنزع البوابات التى على الدروب مبالغة فى استقراره .

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن أياس ج ٢ ص ٣٣٦ .

(٢) بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن أياس ج ٣ ص ٣٣ .

(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن أياس ج ٣ ص ١٤٣ .

(٤) عجائب الآثار للجبرتى ج ٣ ص ٢٩ .

(٥) عبر البشر فى القرن الثالث عشر ص ٤١ (خط) .

ورغم ما أصاب البوابات من التخريب فقد بقيت منها بقية صغيرة فى أنحاء القاهرة كان الفضل فى بقائها تسجيلها ضمن الآثار العربية مثل باب حارة زقاق المسك بالخيمية ، وحارة الألايلى بالغورية وبوابة طرباى بباب الوزير وباب درب الميضة بالجمالية ، وباب حارة برجوان بالنحاسين ، وباب متصل بقبة تترالحجازية بالقفاصين قسم الجمالية ، وبوابة بيت القاضى بجوار قسم الجمالية.

هذا عدا ما هو موجود منها فى سوق الفحامين ومصر القديمة على الدرب المؤدى إلى قاعة العرسان ، وعلى الدرب المؤدى الى كنيسة أبى سرجة . وباب حارة سعد الدين بالقرب من مسجد أصلم السلحدار بدرب شغلان ، وباب حارة زعيتر بشارع بولاق الجديد ، وباب درب البارودية لصق قبة الغورى بالغورية .

وكانت تلك البوابات تغلق فى الليل ويعين لها الحراس ، فيظلون طول الليل فى موضع المراقبة وهم مسلحون ، فيغلقونها عقب صلاة العشاء ، ولا يفتحونها لطارق مجهول أو قادم إلا إذا أسر إليه بكلمة السر المتفق عليها مع السكان فى تلك الليلة . أو قدم له بطاقته الشخصية .

البطاقات الشخصية

فى ٢٣ ربيع الأول من سنة ١٢٤٥ هـ — ١٨٢٩ م قرر مجلس المشورة بالقاهرة أن يكون بيد كل إنسان تذكرة مختومة بختم مصر يقدمها عند خروجه [١] من أبواب مصر أو دخوله فيها وعند انتقاله من بلد إلى أخرى .

ونصت المادة ١٩٤ ضمن البنود المنتخبة من [٢] الجمعية الحقانية فى ٩ شعبان سنة ١٢٦٠ هـ — ١٨٤٤ م على « أن كل من يوفق تذكرة مرور بالزور ، أو يصنع حيلة فى تذكرة مرور يكون أصلها صحيحاً ، أو يستعمل تزويرات مثل ذلك ، أو تذكرة مرور ذات حيلة فانه يجازى بارساله إلى اللومان بمدة من ستة أشهر إلى سنتين »

وكان يعهد إلى (البصاصين) رجال البوليس الملكى بمراقبة مداخل القاهرة والاطلاع على البطاقات ، حتى إذا تبين أن أحداً لا يحمل بطاقة عذر وأنذر ، فقد

(١) الوقائع المصرية الصادرة فى ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٥٤ هـ .
(٢) قانون منتخبات ص ١٠٣ .

ضُبط سالم أحد عربان العبابدة داخلا من باب القرافة وهو بزى امرأة ، وبالتحقيق معه وسؤاله عن تذكرته اعتذر عن تركها ، وقال إنه لم يتزىّ بزىّ النساء ، بل كان يحمل قميص والدته على كتفه ، وبعد معاقبته أطلق سراحه (الوقائع المصرية عدد ١٩٣ — ٩ ربيع آخر سنة ١٢٤٦) .

والبطاقات الشخصية ليست وليدة القرن التاسع عشر . فقد كانت نواتها موجودة بمصر منذ القرن الرابع عشر الميلادى . فان ابن بطوطة حينما زار مصر وذهب إلى دمياط قال « إذا دخلها أحد لم يكن له سبيل إلى الخروج إلا بطابع الوالى . فمن كان من الناس معتبراً طبع له فى قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها ، وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به[1] وهذا بلا شك (جواز مرور أو بطاقة شخصية) للوافدين على مصر من الأغراب . ثم حدثنا عن جوازات الدخول إلى مصر والخارجين منها حينما وصل إلى بلدة قطيا باعتبارها الحد الفاصل بين الشام ومصر وفيها الجمرك والدواوين فقال :

« ولا يجوز عليها أحد من الشام إلا ببراءة من مصر ؛ ولا إلى مصر إلا ببراءة من الشام احتياطاً على أموال النـاس وتوقياً من الجواسيس العراقيين ، وكان يعهد إلى العرب بحراسة الحدود عند هذه البلدة ، وطريقها فى ضمان العرب ، فاذا كان الليل مسحوا على الرمل فلا يبقى به أثر ، ثم يأتى الأمير صباحاً فينظر إلى الرمل ، فان وجد به أثراً طالب العرب باحضار مؤثره[2] ، فيذهبون فى طلبه فلا يفتهم فيأتون به الأمير فيعاقبه بما شاء » .

وللصديق المحقق ميخائيل عواد بحث ممتع فى جوازات السفر حوى معلومات جديدة طريفة نشرت فى مجلة الكتاب ص ٤٠ — ٥٠ عدد مايو سنة ١٩٤٦ يرجع إليه من رغب التوسع فى هذا الموضوع . ويعتبر ماذكرناه مكملا لبحثه .

تقسيم القاهرة

مما سبق يتضح أن القاهرة قسمت إلى مناطق سكنية ، ومناطق صناعية . كما قسمت أيضاً إلى مناطق لهو برىء ، وغير برىء ، ومتنزهات خلوية ، فمن مواطن

---

(١) رحلة ابن بطوطة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار جـ ١ ص ١٦ .

(٢) رحلة بن بطوطة جـ ١ ص ٣٠ .

اللهو غير البرىء قنطرة الحاجب على الخليج المصرى حيث كانت مقر أهل الطرب والخلاعة . وكانت العامة تقول فى هزلها :

ستى ، أين كنتى ، وأين رحتى ، وأين جيتى ؛ قالت : من ربع الزيتى[١] .

هذا عدا المناطق المخصصة لعصير الخمر وبيعه وغالبها أماكن نزهة أو يسكنها غير المسلمين مثل حارة السودان ، وحارة الساشا ، وكوم دينار ، وبركة اليقطين ، وحارة عكا ، والجزيرة ، والمريس ، والباطلية ، وشبرا ، ومنية السيرج ، وحارة زويلة ، وحارة الروم الجوانية ، وسويقة صفية ، وقنطرة الفخر[٢] .

وكانت مواطن اللهو البرىء فى رحبة باب اللوق ، وكانت تجمع رحاباً خمس وبها كان يجتمع فى القرن الخامس عشر الميلادى أرباب الملاعب المسلية كالمشعبذين ولاعبي خيال الظل والحواة والبهلوانية وغيرهم[٣] .

وكانوا فى القرن الرابع عشر يجتمعون فى منطقة أخرى متاخمة لها عند جامع الطباخ القريب من ميدان (عابدين) .

أما متنزهاتها فكثيرة على ضفاف النيل ، وعلى حافتى الخليج ، وحول برك الفيل والحبش والرطلى ، والأزبكية ، وشبرا وخارج الحسينية وجزيرة الروضة وغير هذا كثير .

وعلى الجزائر وضفاف البرك أقيمت السرادقات والأخصاص فى فصل الصيف ففى سنة ٧٤٧ هـ — ١٣٤٦ م ظهر فى النيل جزيرة حليمة فاتصلت بجزيرة الزمالك وأقبل سكان مصر على التصييف فيها فانشأوا بها عدة أخصاص (عشش) تفننوا فى تشييدها حتى بلغت نفقات الخص نحو[٤] مائة وخمسين جنيهاً ما بين رخام ونقوش وحدائق حوله . وكانت الإقامة فى تلك الأخصاص وفى أخصاص جزيرة الطينة أمام أثر النبى بمصر القديمة يستغرق ستة شهور .

وبذلك انتفع سكان مصر والقاهرة بجزائر النيل ابتداء من بولاق وجزيرة

---

(١) المقريزى (المواعظ والاعتبار) ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) حلبة الكميت ص ٤٠ .

(٣) المقريزى(المواعظ والاعتبار) ج ٢ ص ٥١ .

(٤) المقريزى (المواعظ والاعتبار) ج ٢ ص ١٨٦ .

الروضة وما يتصل بها من جزائر إلى مصر القديمة وهى مساحة تزيد عن مساحة رأس البر .

وفى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى وفى القرون الثلاثة التالية له ، كانت منطقة الأزبكية حول بركتها من أجمل متنزهات مصر . حيث عنى بها الأمير أزبك من ططخ كبير أمراء السلطان قايتباى ، فأزال كيمانها ، وأعاد حفر البركة ، وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى ، ثم أنشأ مناخاً لجماله ، كما أنشأ قصراً له فعرفت بالأزبكية نسبة إليه .

وما أن تم عمرانها حتى أنشأ بها مسجداً كبيراً ألحق به مكتبة نفيسه ، وأنشأ حوله حماماً ووكالة وقياسر للتجارة ، وقد رفع الفراغ من تلك المنشآت حوالى سنة ١٤٧٧ م. وكان من جرّاء حفر البركة وعمل رصيف حولها أن رغب سراة مصر فى سكنى الأزبكية ، فشادوا القصور وغرسوا الحدائق حتى صارت مدينة عامرة تبارى الشعراء والأدباء فى وصف جمالها .

ومن طريف ما وقفت عليه فى مدحها مقامة الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر القادرى التى سماها «عرف الروضة الذكية فى وصف محاسن الأزبكية(١)» اقتطف منها تلك الفقرات .

فهى أحسن ما عمر فى عصرنا . وبها البركة التى ليس فى القاهرة أعظم منها ، ومن أيامها المعدودة ذلك اليوم الذى تنساب فيه إلى البركة مياه النيل ، حيث تضاء البركة والدور حولها ، وتدخل إليها المراكب مزدانة وتقام حولها حفلات الطرب .

أما فى زمن الربيع فان هذه البركة تزرع كلها قرطاً ، وتضرب الخيام حولها وتتحول إلى ربيع فى وسط المدينة يتمتع بها خلق كثير .

« ويعجبنى وصفه للمبانى بقدر ما يسمح له خياله فيصف المسجد بأن (٢) أعمدته كشموع كبيرة ناصعة البياض ، ورخامه المدبج قد استعار من البستان خضرة رياضه ، ومن الليل والنهار لون سواده وبياضه ، وكأن شرفاته المرتفعات ،

---

(١) نزهة الأمم لابن أياس ص ٢٤٦ خط .

(٢) هذا المسجد كان فى ميدان العتبة الخضراء حيث مدخل شارع الأزهر وقد هدم سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م واهتم بتصويره تجران باشا .

حسان نساء فى أزرهن متربعات ، وكأنه فى الليل والبدر غير محتجب ، سرادق من الفضة قد ضرب » .

ثم أخذ فى وصف منشآت الأمير أزبك حول البركة بأسلوب بليغ تحايل فيه ببلاغته على وصف تفاصيل العمارة الإسلامية أبلغ وصف .

فمن وصفه لقاعات القصر ورخامهـا : « وافتخرت على البقاع بقاعاتها التى هى كجنات تجرى من تحتها الأنهار ، تطرد بها آناء الليل وأطراف النهار ، من كل شاذروان تقر به العينان ، إذا انكسر ماؤه وانسكب ، تسلسل كالفضة على أرض من ذهب ، وقام بعد أن تكسر يجرى فى أخدود ، يسر الوارد عند الورود ، ينتهى من تلك الأخاديد إلى فساقى ، تسع لسقيهـا عند الورود ألف ساق .

وتلك القاعات بها رخام ملون ، كأنه من بديع الزهر قد تكون ؛ فكأن بستانها أهدى لرخامها من رياضه حللا ؛ محكمة النسيج لا ترى خلالها خللا .

وكل مبيت يفضح الشموس والأقمار بقمرياته ، ويدهش العيون إذا نظرت إليه بحسن دهاناته ، إذا قابلت قمرياته الشمس إذا بزغت والقمر إذا طلع ، يظنان أن قوس السحاب وقع عليها لحبه إياها وقطع يقابلها الدهانات البعلبكية ، التى تدهش العيون برؤيتها السنية ؛ وشى كالنقش الأخضر على ترائب الأتراب

---

(١) نزهة الأمم لابن أياس ص ٢٥٥ (خط) .

(٢) الشاذروان هنا يفيد أنه السلسبيل الذى تنساب عليه المياه متعرجة على نقوشه المموجـة وعادة يكون فى صدر السبيل أو الفسقية تنساب عليه المياه إلى الحوض أو فى صدر الأيوان تنساب عليه المياه إلى الفساقى ، وكذلك فى قاعات القصور تنساب عليه المياه من أفواه الطيور فتسير فى قنوات حفرت عليها أنواع الأسماك حتى تصل إلى الفسقية أو البركة .

ولعلماء اللغة تفسيرات أخرى تغاير هذا .

وهذا الأديب فى وصفه البليغ أعطى للأثاريين مصطلحات معمارية دقيقـة فيصف شرفـات المسجد بحسان النساء فى أزرهن متربعات ، وفسر الشاذروان بأنه السلسبيل ، ووصف الرخـام الدقيق بأشكاله وألوانه ووصف القمريات (الشبابيك المستديرة ذات الزجاج الملون) أبدع وصف كما وصف جامات الحمام .

ولا شك فى أن هذه المقامـة وصفت التفاصيل المعمارية أجمل وصـف . وما أحوجنـا إلى الكثير من وصف تلك التفاصيل .

الحسان ، وجسم جمال النقش يكاد أن يتحرك بروح حسنه وعروقه اللاعب
وتظن رخامها الملون فى حسنه من زهر الرياض ، وأسوده فى أبيضه كمـ
العيون منها فى البياض .

ثم وصف الحمامات بقوله : يالها من حمامات يستوقف النواظر حسن رخـ
الوسيم ، ويستوقف الأسماع صوت مائها الرخيم ؛ وتحير فى حسن بهجتها النظ
إذا أشرفت أقمار جاماتها بالنهار » .

ثم وصف البركة بقوله « انها بركة محفوفة بالمفترجات والمناظر ، ترتاح إلـ
النفوس وتقر بها النواظر ، فهى بركة أنيقة المنظر ، صافية المخبر ، أرخـ
كالعنبر وعرفها كالمسك الأذفر .

ثم تدرج إلى وصف الحدائق حولها ، وما يقام بها من حفلات بوصـ
لايدع مجالا للشك فى استعمال الألعاب النارية فى هذا الوقت ، فيقول :

كانى أراها حين سعى الناس إليها من كل مكان فى ليلة أحرقت مردة الهمو م
بشهب من نيران النفط كالنجوم الرجوم ، فبينما الناس فى لهو وفرح ، وبسـ
من الأنس ومرح إذ أطلع فلك سماء الماء فلكاً تحمل أشجاراً من نار ، يقذ
النفط منها أنواعاً من الأزهار ، من مفضض ومذهب ومدبج من ألوان اللهب
وأسهم تنسب مع إصابتها إلى الخطأ ، وضوء شمس يكشف عن وجه الظلا
الغطا فى ليلة ينجاب عن وجهها الظلام ، وشاهد الناس فيها العجب ، لما اصطلـ
الماء مع اللهب ؛ وطار على وجه الماء فراس من ذهب ، ودارت بأكف اللاعبين
دواليب من نار ، من غير رياش تدور على قلب ولا زنار ؛ فيالها من نار
أثلجت الخواطر ، وأقرت برؤيتها من الحاضرين كل ناظر .

ولاشك فى أن هذا وصفاً صادقاً للألعاب النـارية التى عرفتها مصر منـذ
أربعة قرون ونصف .

ثم استطرد فى وصف البركة فقال : « فيالها من بركة ماؤها بتجعيد الرياح
كالمبرد يجلو عن القلوب الصدأ ، افتخرت سماء مائها ، بكواكب أسماكها ؛
وإن افتخرت بشموسها وبدورها ، افتخرت بشموس حسانها وبدورها ،
فهى فى زمن النيل بمناظرها كالسماء ذات البروج ، وفى زمن الخريف ذات

شطوط ومروج ؛ فاذا نضب عنها الماء خرج من سجن طينها من زغب الحب ما كان من المحابيس ، وبرزت فى حلل من زهر الربيع كأذناب الطواويس ؛ يالها من بركة إذا رآها الناظر أعلن بالتهليل والتكبير ، ودعا بطول البقاء لمنشئها الأمير الكبير .

وختم هذا الوصف بما كانت عليه حوانيت التجارة حولها من رواج يشبه رواجها الحالى .

ظلت بركة الأزبكية عامرة بالدور والقصور حولها يسكنها أعيان مصر وسراتها . وألحقوا بدورهم الحدائق وأباحوها للشعب ينعم بالتنزه فيها . فكانت فرجة لسكان القاهرة يهرعون إليها فى الصيف والربيع ينعمون بالتنزه حول مياها والتمتع بمباهجها . وعند جفافها ينعمون بخضرتها وزهورها وتقام حولها أهم الحفلات .

وحينما زار مصر الرحالة عبد الغنى النابلسى سنة ١٦٩٣ م نزل فى دار[١] أسرة البكرى المطلة على البركة وكانت وقتئذ مزروعة فتناقش فى مساحتها وهل هى أعرض من مرجة دمشق أم المرجة أعرض منها ؟ مما دعاه إلى قياسها بالذراع الذى حدده بثلاثة أشبار . فكانت مساحتها ١٠٥٠ ذراعاً طولا فى ٤٤٢ ذراعاً عرضاً .

وفى سنة ١٧٧٦ م وقع حريق كبير فى أحد[٢] الأحياء حول البركة كان سبباً فى تلف كثير من الدور الكبيرة ، غير أن ولاة الأمور وقتئذ حتموا سرعة تعميرها بدرجة أنهم ألزموا غير القادرين على التعمير ببيع ما يملكون لمن يستطيع التعمير . وهكذا تم تعميرها فى أقرب وقت . فلم يحل ميعاد الفيضان الثانى حتى كانت الأزبكية أبهج وأحسن مما كانت عليه ، وهكذا نرى التاريخ يعيد نفسه .

وعند احتلال الفرنسيين لمصر اغتصبوا كثيراً من قصورها وأقاموا فيها وأنشاوا فى سنة ١٨٠٠ [٣] مسرحاً كوميديا كما أقاموا مطاعم وملاهى خاصة بهم حولها .

(١) الحقيقة والمجاز رحلة النابلسى ص ٢٣٢ خط .
(٢) عجائب الآثار ج ٢ ص ٢ — ٣ .
(٣) عجائب الآثار للجبرتى ج ٣ ص ١٤٢ .

وكان يشرف على البركة حى الأقباط المعروف الآن بحارة النصارى . وكانت دوره كبقية دور القاهرة حافلة بالمشربيات والشبابيك الخرط . وهو الطراز السائد لأحياء القاهرة .

ومن الدور التى كانت تشرف على البركة وأبيحت حدائقها للجمهور . دار السيد ابراهيم بن السيد سعودى . وكانت من الدور الكبيرة التى عنى بتشييدها وصرف عليها مبالغ كبيرة . أباح حدائقها المتاخمة لبركة الأزبكية لعامة (١) الناس يتنزهون فيها .

وهذه الدار هى التى آلت إلى الأمير محمد بك الألفى سنة ١٧٩٦ م فهدمها وتغالى فى بنائها . ولم يسكن بها سوى أياماً حتى وقع الاعتداء الفرنسى الممقوت فاغتصبها الفرنسيون وأقام بها سارى عسكر بونابرت ثم الجنرال كليبر . وبها قتل .

ومن تلك الدور دار الشرايبى ، وكانت على الحافة الشرقية للبركة . وهى إحدى دور المجد ، ألحقت بها مكتبة قيمة حفلت بكتب العلم فى مختلف الفنون . عرضت للجمهور على الطريقة الحديثة . فيدخل الطالب فيختار ما يحلو له ليطالعه فى المكتبة أو يستعيره خارجها (٢) .

وقد تنقلت ملكية هذه الدار حتى آلت إلى الأمير رضوان كتخدا الجلفى فأدخل عليها تعديلات ، ووسع حدائقها وأباحها (٣) للنزهة وخاصة أيام فيضان النيل . ثم آلت إلى طاهر باشا ناظر الجمارك ثم عباس باشا الأول فهدمها وأعاد بناءها . ومنذ ذلك الوقت أطلق على تلك المنطقة اسم العتبة الخضراء بدلا من (٤) العتبة الزرقاء . ومحلها الآن الحديقة وسط ميدان العتبة الخضراء .

وكانت مدرسة الألسن على البركة ، ثم حولت إلى فندق للإنجليز عرف فيما بعد بفندق شبرد .

وفى منتصف القرن التاسع عشر ردم أكبر قسم من البركة فأزيلت الكيمان التى كانت مجاورة لها وأقيمت المتنزهات وشيدت المنتديات .

---

(١) عجائب الآثار للجبرتى ج ٣ ص ٢٤٣ .
(٢) عجائب الآثار للجبرتى ج ١ ص ٢٠٤ .
(٣) عجائب الآثار للجبرتى ج ١ ص ١٩٢ .
(٤) عبر البشر فى القرن الثالث عشر ص ٤٨ خط .

وفى سنة ١٨٦٤ م ردم البركة وضمت إلى الحديقة التى أعيد تنظيمها . وأقيمت بها البرك والأكشاك والجبلاية ووضعت بها [١] الطيور المغردة ، وأضيئت بغاز الاستصباح ، وشقت بها الشوارع حسب تخطيطها الحالى . وأنشىء بجوارها ثانى مسرح كوميدى . ثم أنشئت دار الأوبرا سنة ١٨٦٩ م .

وفى سنة ١٨٩٩ م تم إنشاء فندق الكونتنتال واحتفل بافتتاحه .

وفى ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٤ شقها شارع ٢٦ يوليه ذلك الشارع العظيم مضرب الأمثال فى سرعة التنفيذ ، وفتحت أبوابها للشعب ينعم بها ففرجت كرب الفقراء المحيطين بها وتنفسوا هواء نقيا استخلص الحمد والدعاء الخالص بدوام التوفيق للقائمين بهذا العمل الجليل .

وكذلك أباح الكثير من أغنياء مصر حدائق دورهم لجيرانهم ينعمون بالتنزه فيها . وكانت حدائق الدور الكبيرة وسط أحياء القاهرة بمثابة حدائق عامة تنفس بسعتها عن سكان الحى .

وممن أباح حديقة قصره وعلى نطاق واسع الأمير قاسم بك أبو سيف المتوفى سنة ١٢١٦ هـ — ١٨٠١ م . فقد كان قصره يشغل مساحة كبيرة من أراضى البركة الناصرية ، يحيط به حديقة كبيرة تشقها قنوات الماء التى تصل إلى البركة أيام فيضان النيل ، وأحكم جريان الماء فى قنوات مرتفعة ، وغرس فيها الزهور والفواكه والنخيل والأشجار [٢] .

ونسق بها جلسات مفروشة لخاصته ظللها بالزهور ، وأباح للناس الدخول إليها ، والتنزه فى رياضها ووضع لافتة على أحد الأشجار بمدخلها كتب عليها : (حديقة الصفصاف والآس ، لمن يريد الحظ والائتناس) .

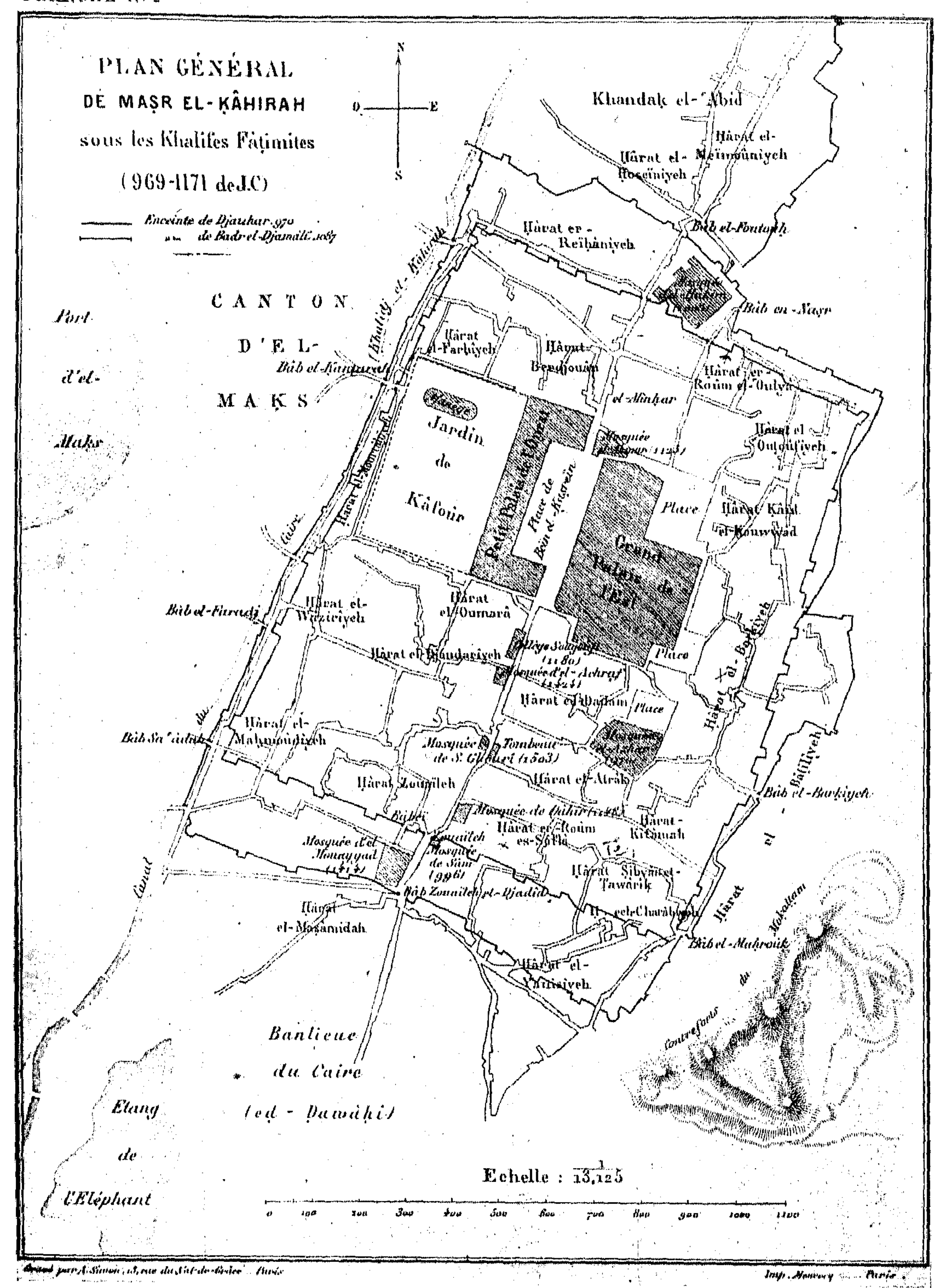
حسن عبد الوهاب

كبير مفتشى الآثار الإسلامية

---

(١) المحاسن البهية فى حديقة الأزبكية ص ٥ — ٧ .

(٢) عجائب الآثار للجبرتى ج ٣ ص ٢١٩ .

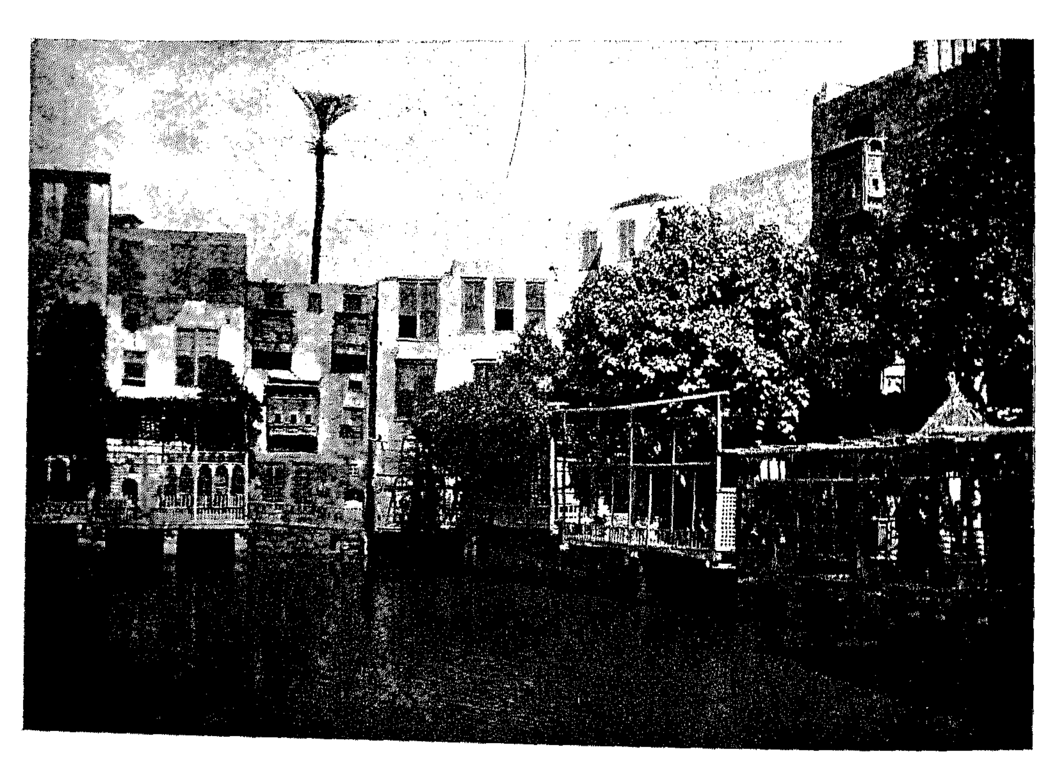


القاهرة الفاطمية والميادين حول القصرين الفاطميين عن رافيس

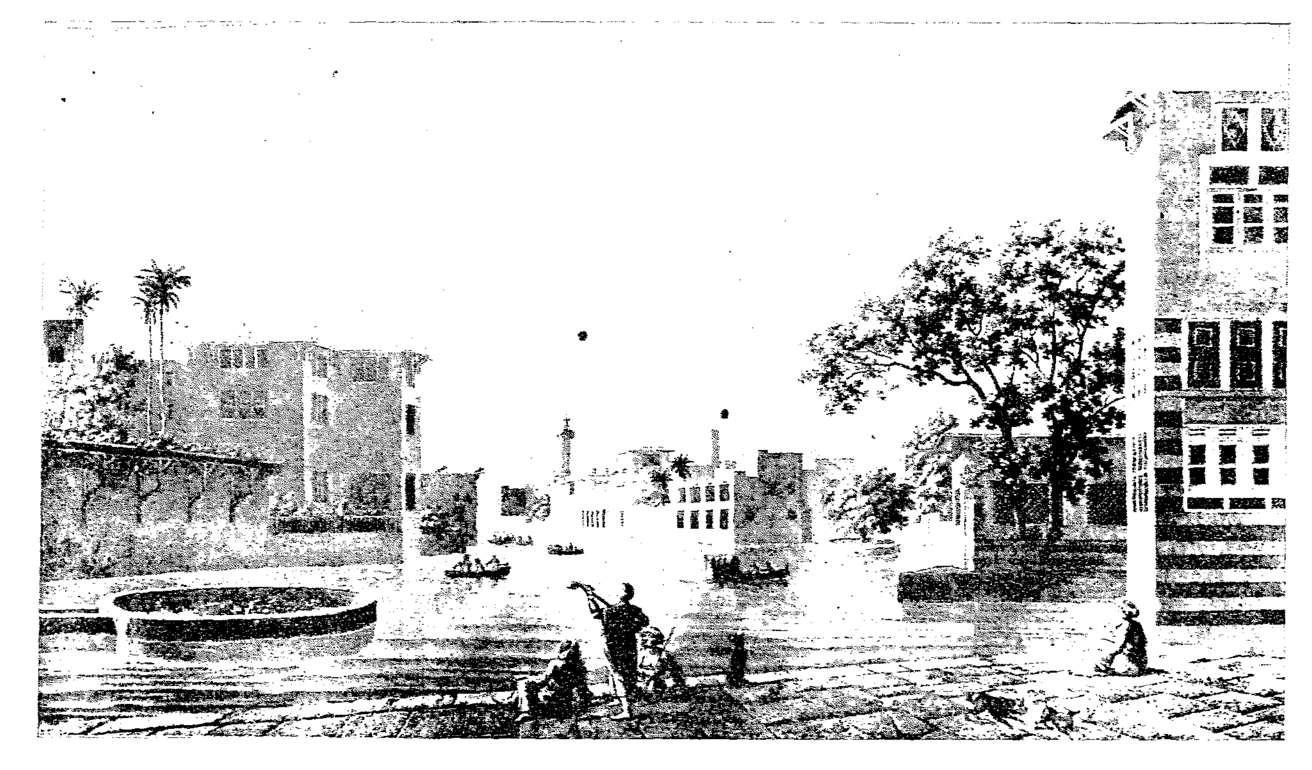


منظر للجيزة والأهرام مأخوذ من منطقة الرصد التي تمنى المعز لدين الله أن تكون بها القاهرة

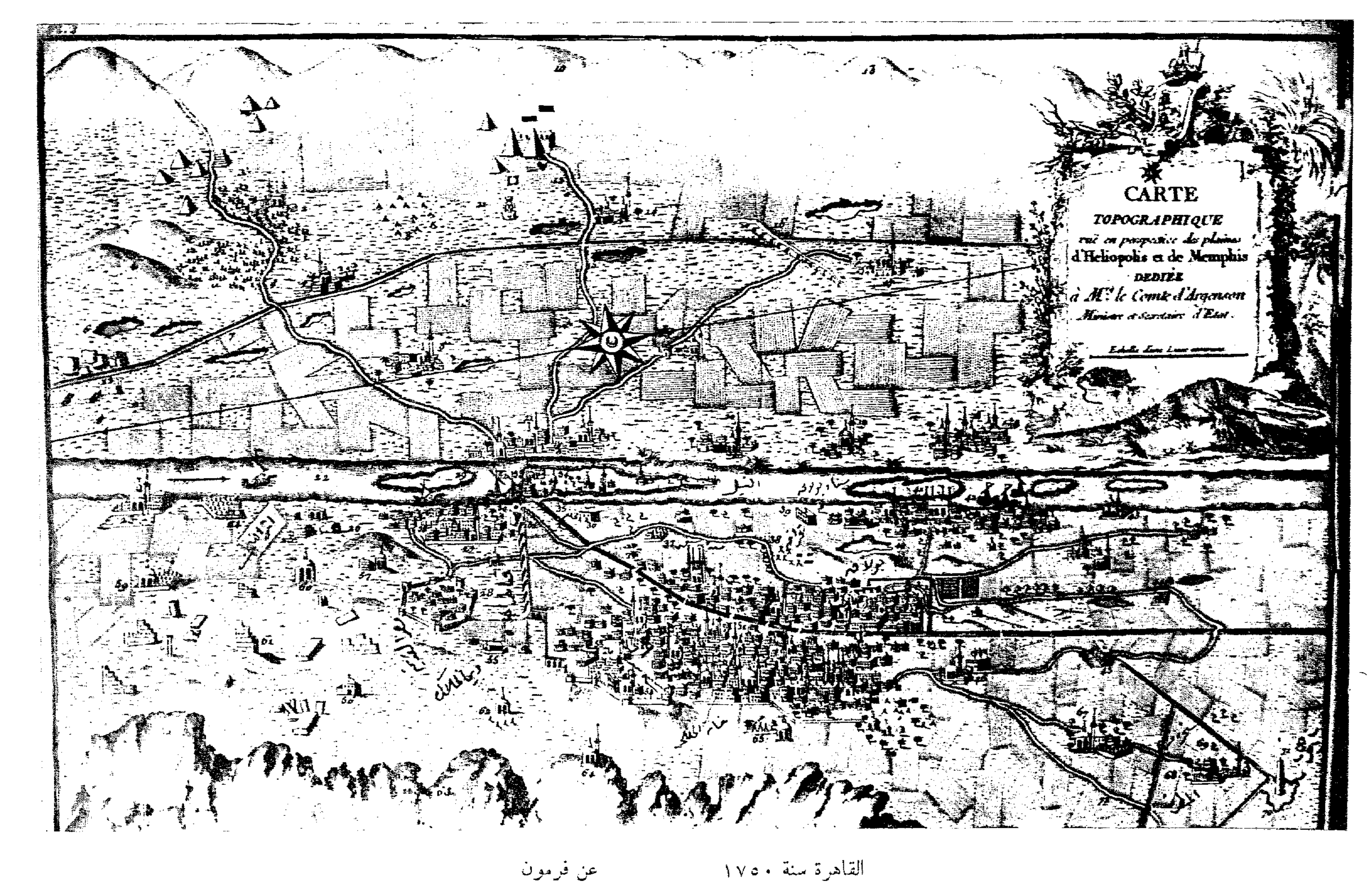

LA GRAN CITTA DEL CAIRO
Descrittione d'i nomi della Città del Cairo
quanto cresse il Nillo .
Questa piramide e fatta a gradi .
Con questa ruote portano l'aqua nel castello per questo condotto .
Isola nominata Cerbio .
Qui si fa la Thiriaca .
Baluco .
Stalle del Soldano .
Turbe .
Cairo vecchio da li antichi detto Babylonia .
Casal .
E in mechias .
Capitlin .
Castello doue stana el Soldano .
Romile i una fabionaira doue si uende canalli, et altri animali .
Moschea del Campso .
Monti taraffa .
Turbie sono case doue si sepelliscono morti .
Morestan e un Hospitale di poveri qual ha una grandissima entrata .
Carzuola .
Saga .
Benesorin .
Zaneta
Morestan .
Bene el cafarin
Turbe del Soldan Campson .
In questo lago se lana panni .
Bab, et Naser .
Berchet, et rondi .
Lago .
Berge al Cara .
Zardin .
Sbecchie
Cantor el magib .
Turbe Ferdin .
El Nillo .



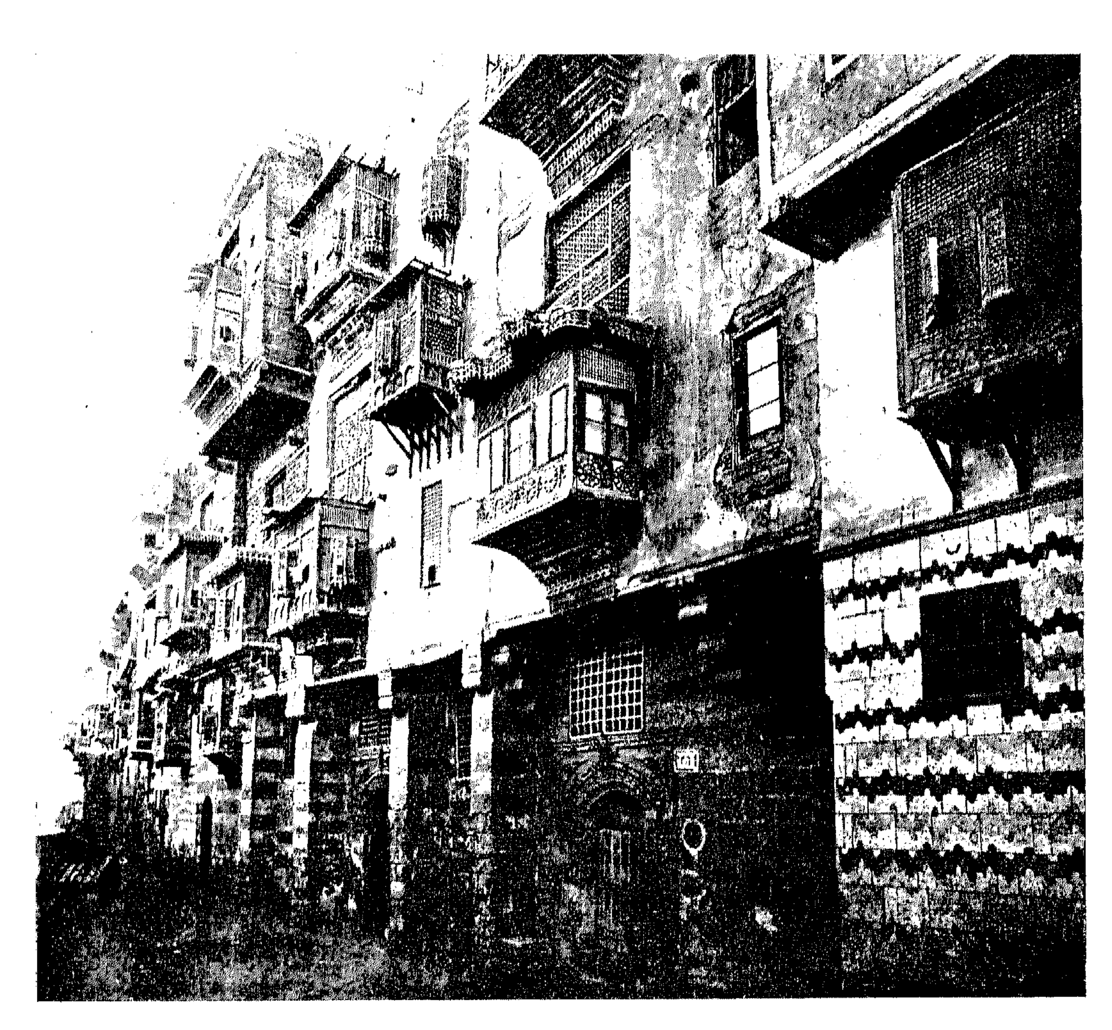
الخليج المصرى قبل ردمه



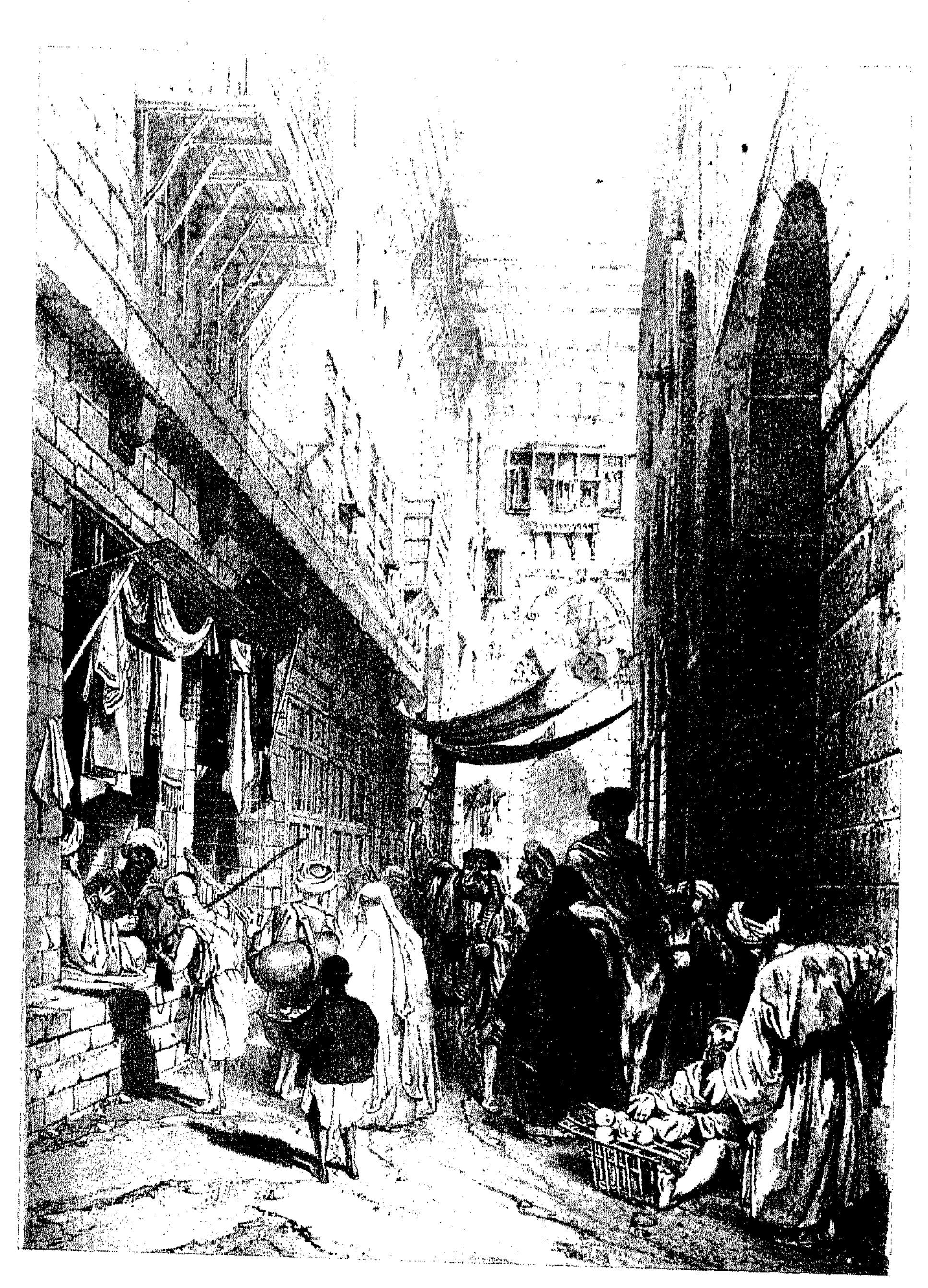
بركة الفيل والدور حولها — القرن الثامن عشر



القاهرة سنة ١٧٥٠ عن فرمون



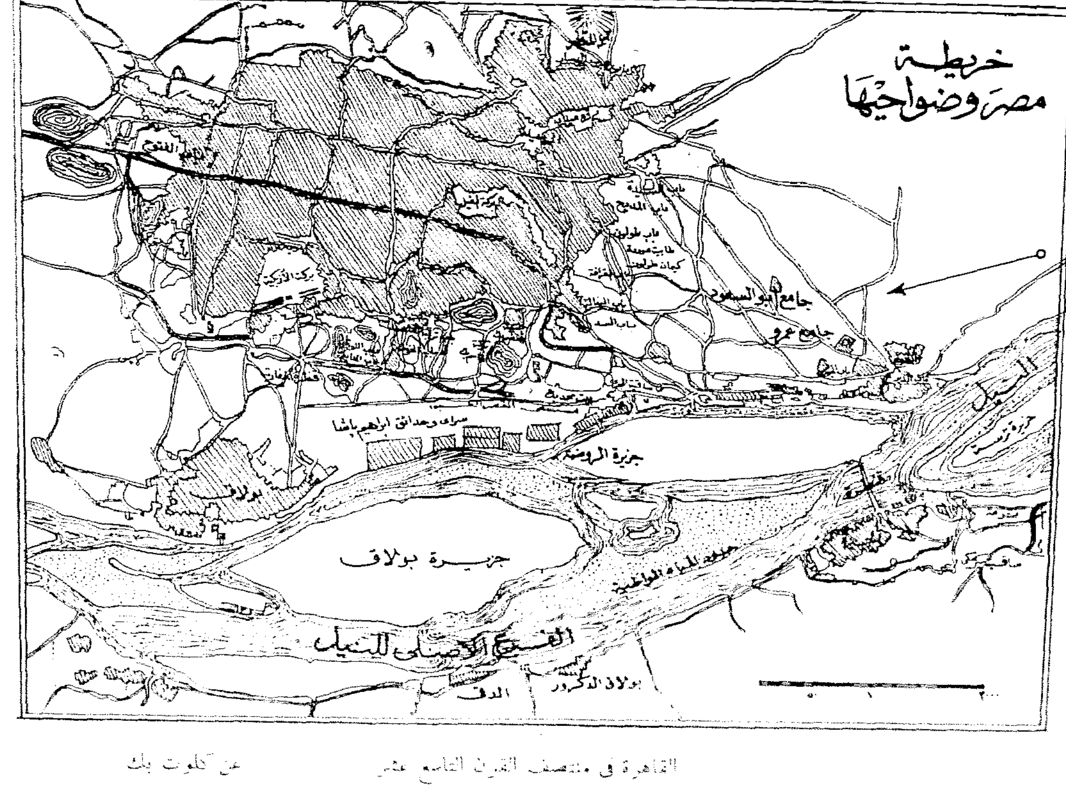
شارع الزيادة بجوار الجامع الطولونى (القاهرة فى القرن الثامن عشر)



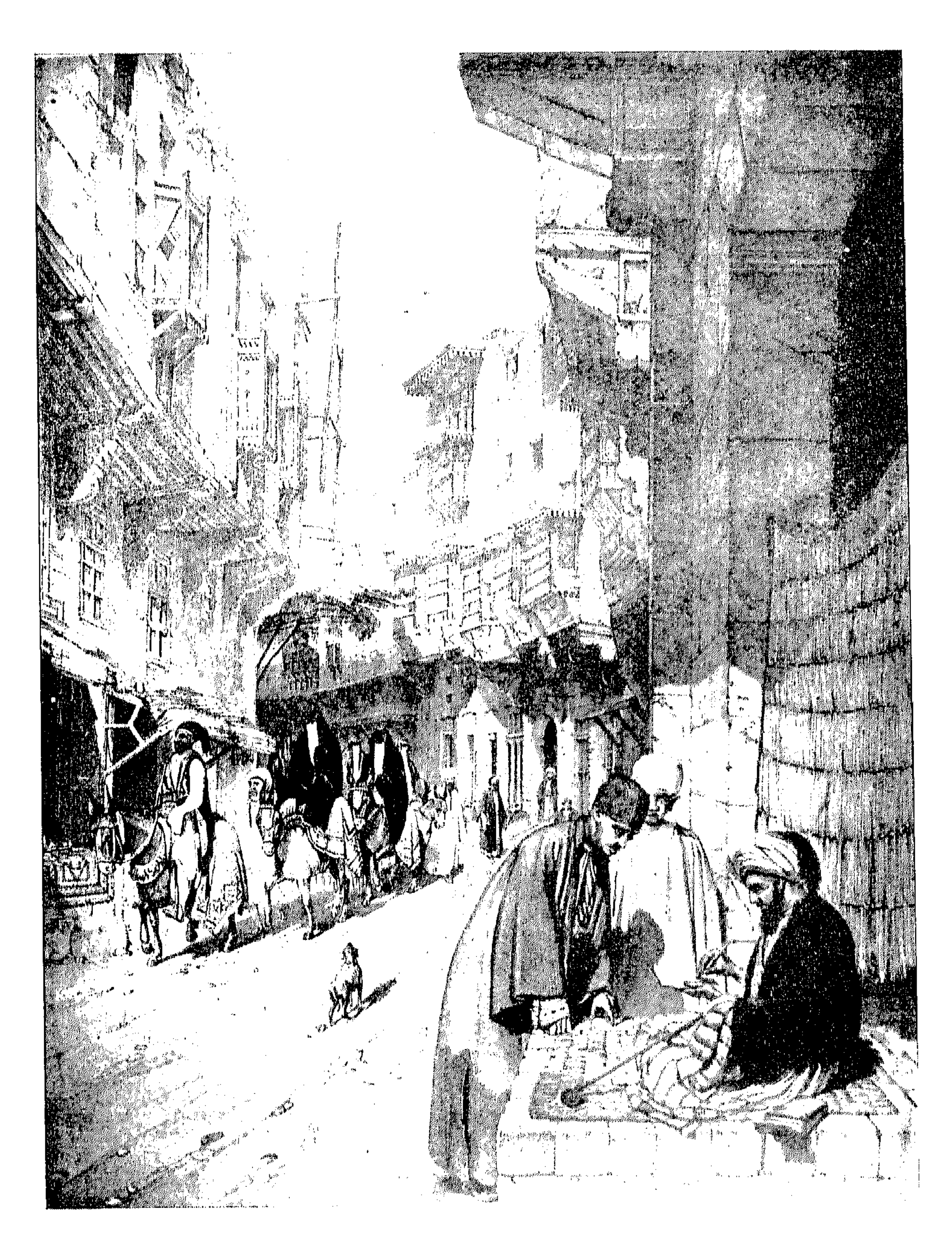
خان الخليلى فى القرن الثامن عشر



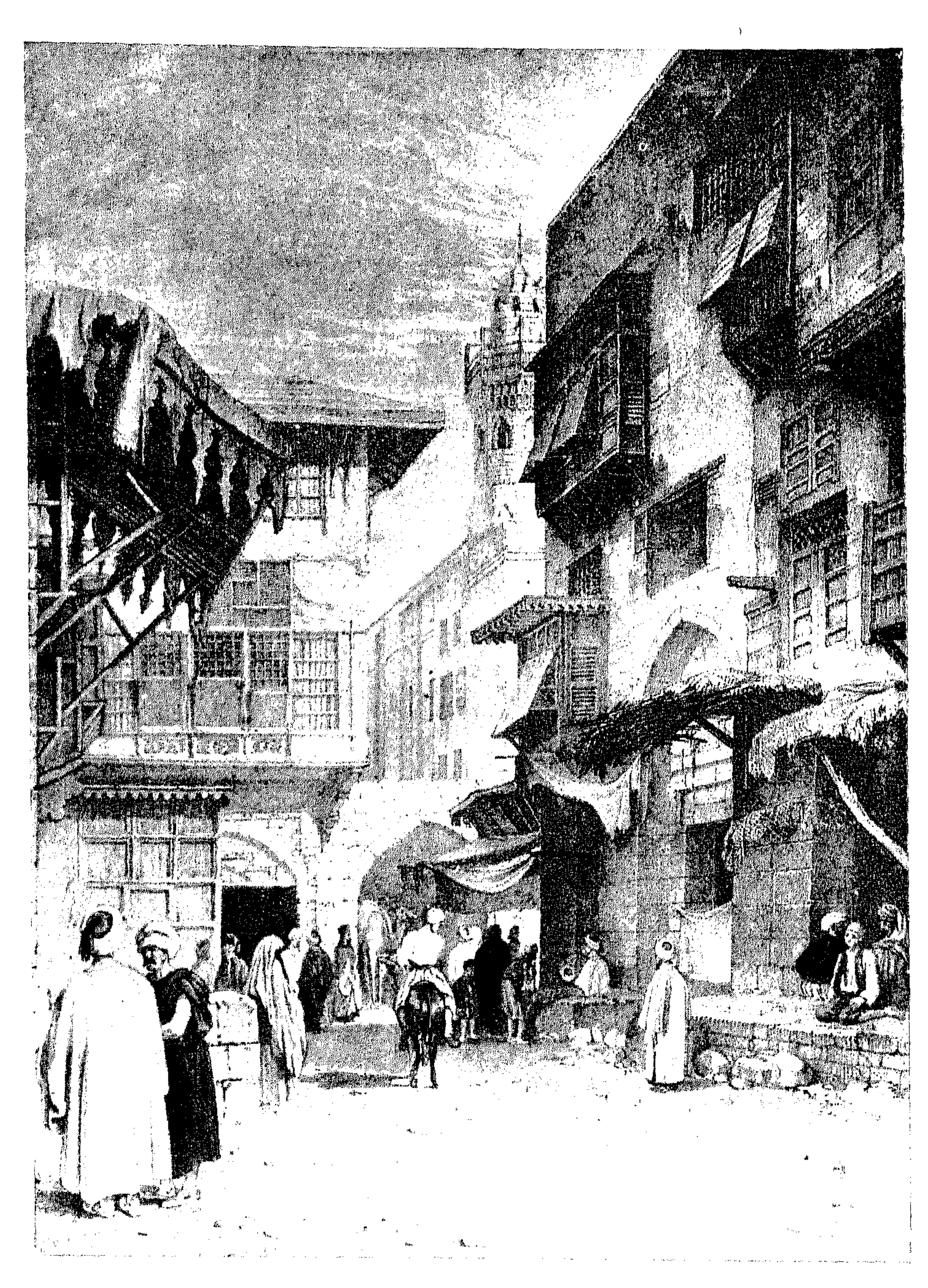
بركة الأزبكية فى القرن الثامن عشر



القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر — عن كلوت بك



شارع باب الخلق (القرن التاسع عشر)



وكالة ذو الفقار وخط الجمالية ـــ القرن التاسع عشر

بولاق مصر   نمرة ٣٣

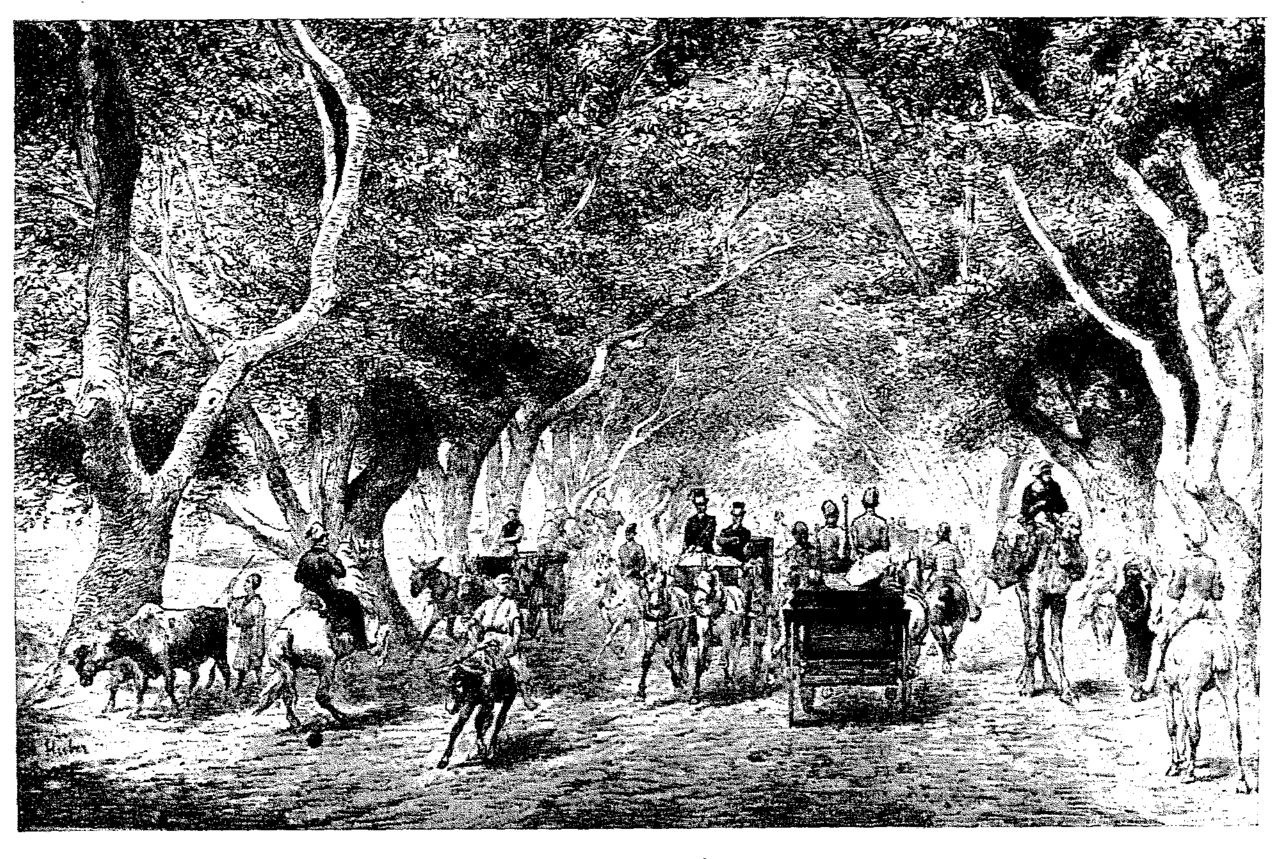
يوم الثلاث   في غاية ذى القعدة سنة ١٢٤٤

وقائع مصرية

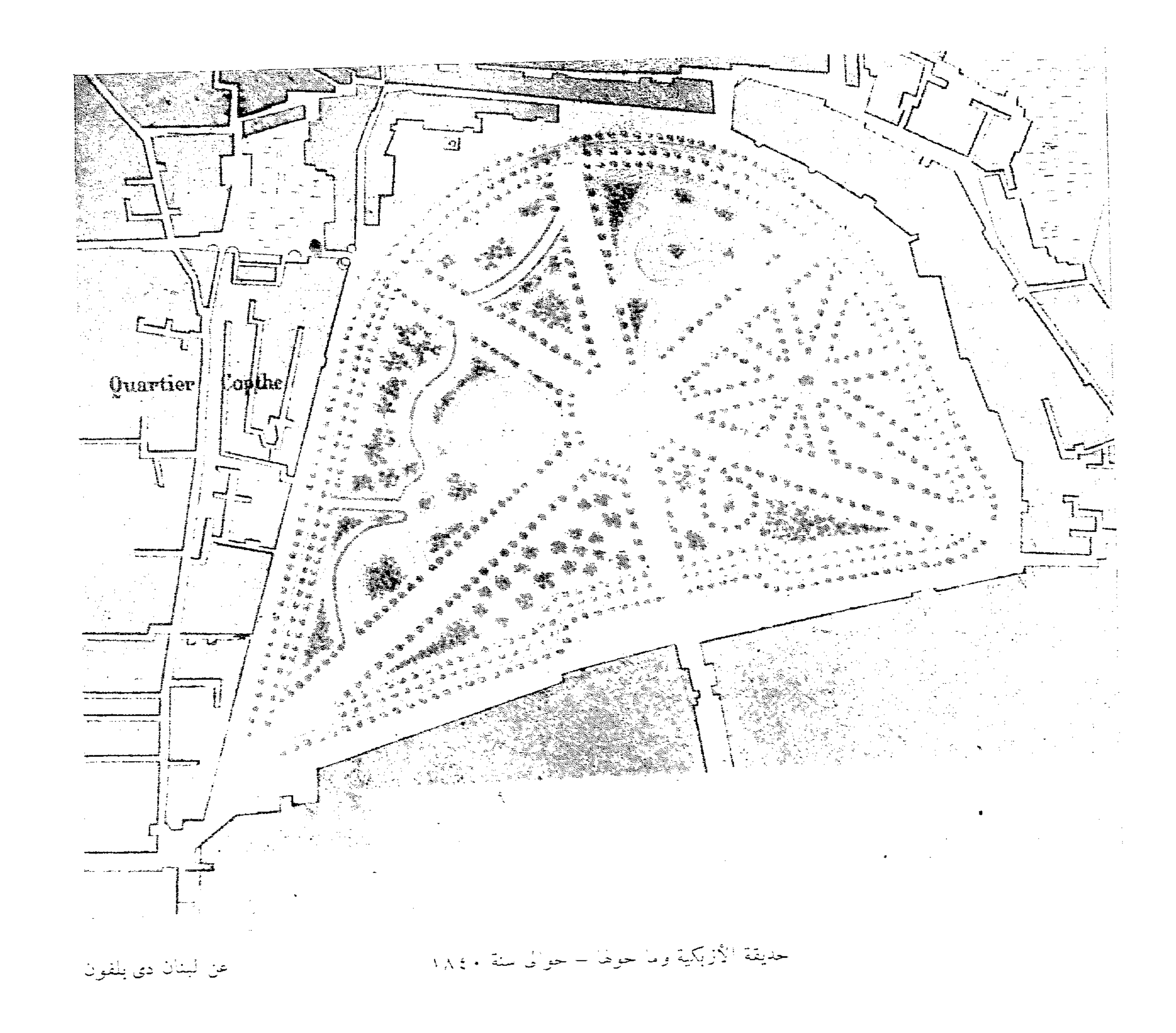
ميزان هواى مصر

ذا	ايام	درجه	صباح	ظهر	عصر	مغرب	عشا
٢٣	د	درجه	٢١	٢٥	٢٣	٠٠	٠٠
٢٤	هـ	درجه	٢١	٢٦	٢٤	٠٠	٠٠
٢٥	و	درجه	٢٢	٢٦	٢٦	٠٠	٠٠
٢٦	ر	درجه	١٩	٢٧	٢٧	٢٧	٢٦
٢٧	ا	درجه	٢٣	٢٩	٣١	٣٠	٢٩
٢٨	ب	درجه	٢١	٢٧	٢٨	٢٥	٢٤

النشرة الجوية الصادرة يوم الثلاثاء آخر ذى القعدة سنة ١٢٤٤ هـ
سنة ١٧٢٨م



شارع شبرا في منتصف القرن التاسع عشر

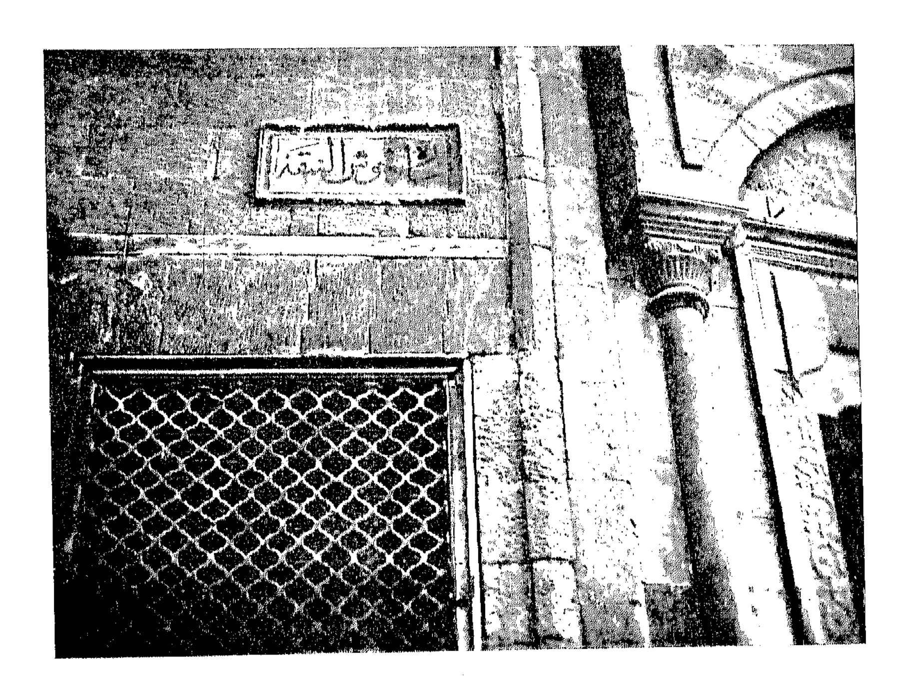


حديقة الأزبكية وما حولها – حوالى سنة ١٨٤٠

عن لينان دى بلفون



لافتات الشوارع الرئيسية والفرعية مازالت موجودة على مسجد قراقجة الحسنى وعلى سبيل السلطان محمود



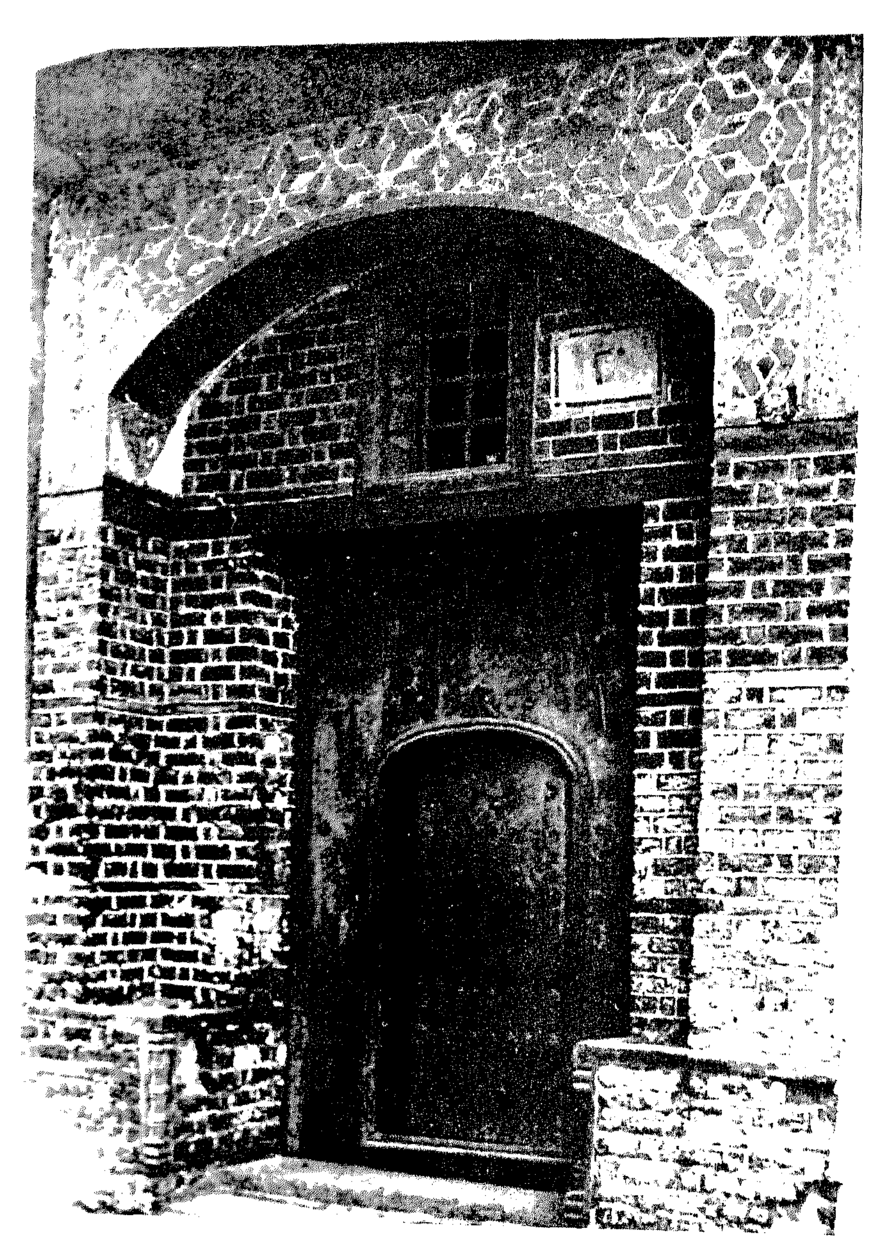


لافتات الحوارى . وهذه اللوحة مازالت موجودة عل سبيل السلطان مصطفى بميدان السيدة زينب

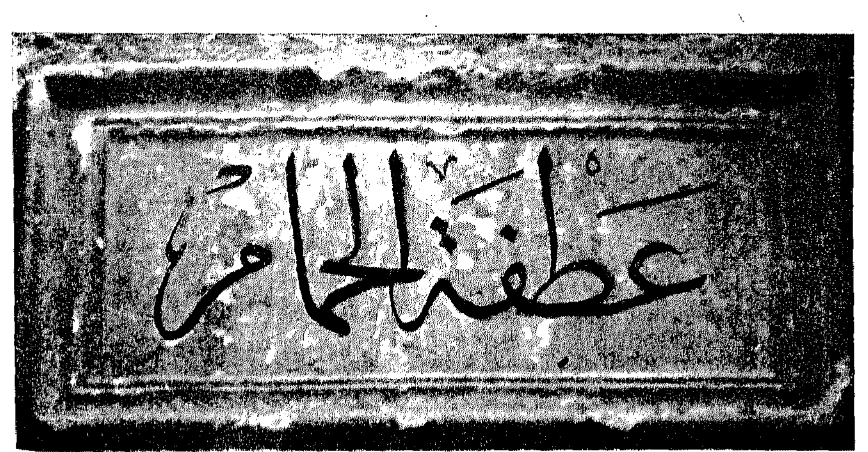


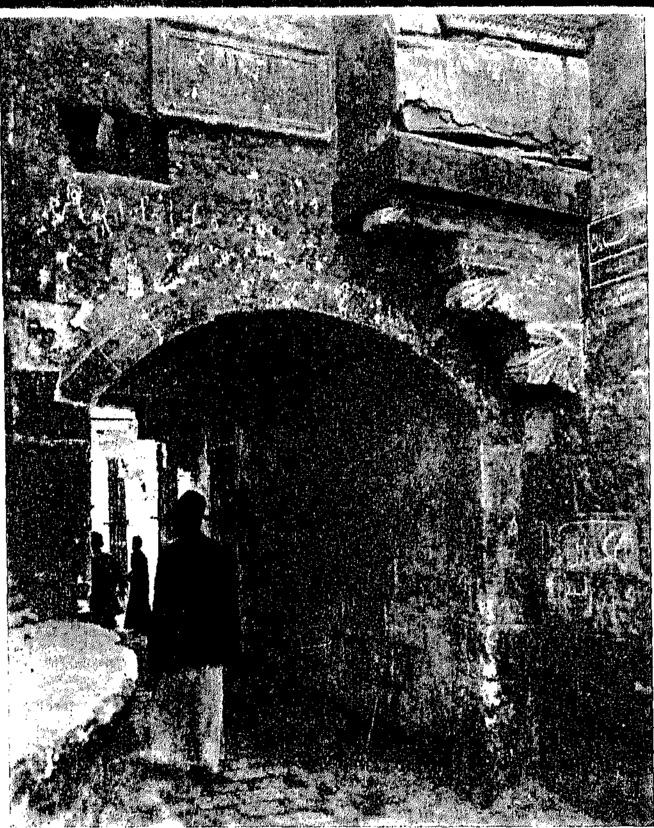
لافتة حارة الحاج يوسف رشيد

رقم تنظيم المنزل بشارع علوة السمك بمصر القديمة

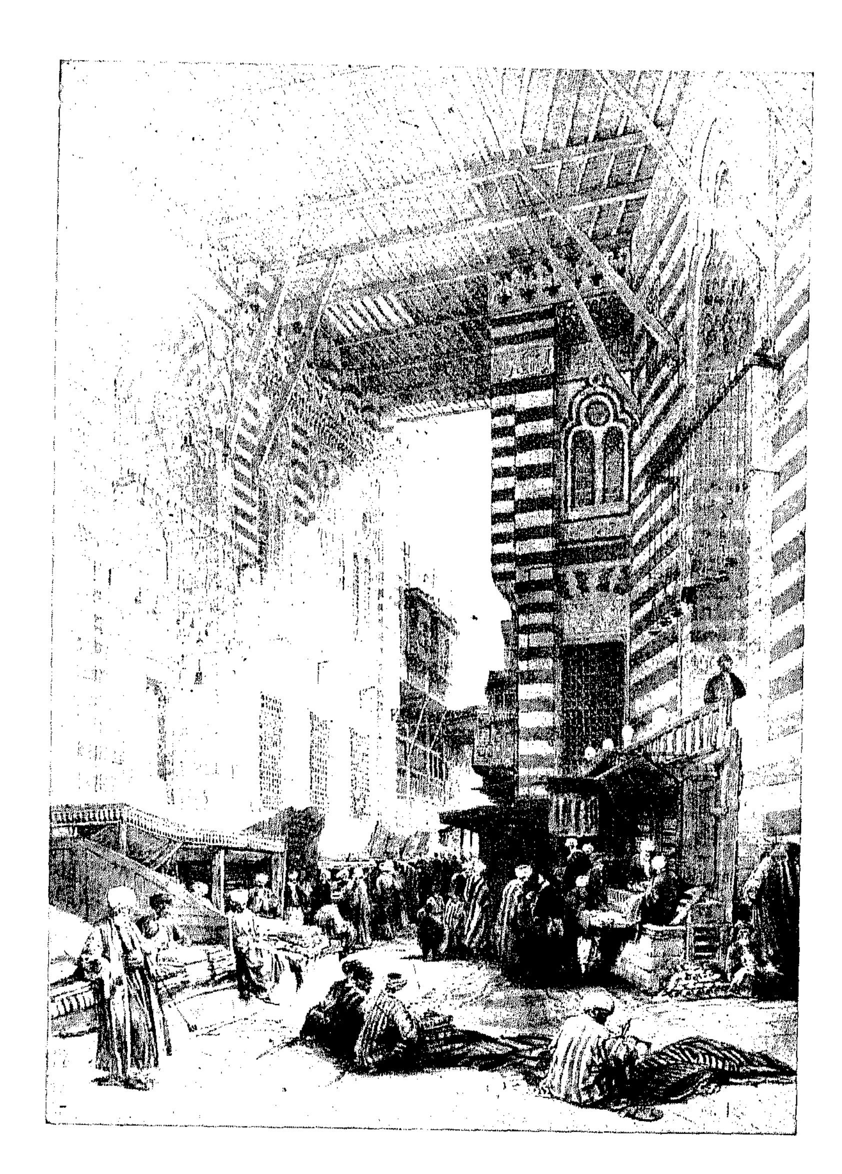


رقم تنظيم منزل المناديلي الاثرى رشيد

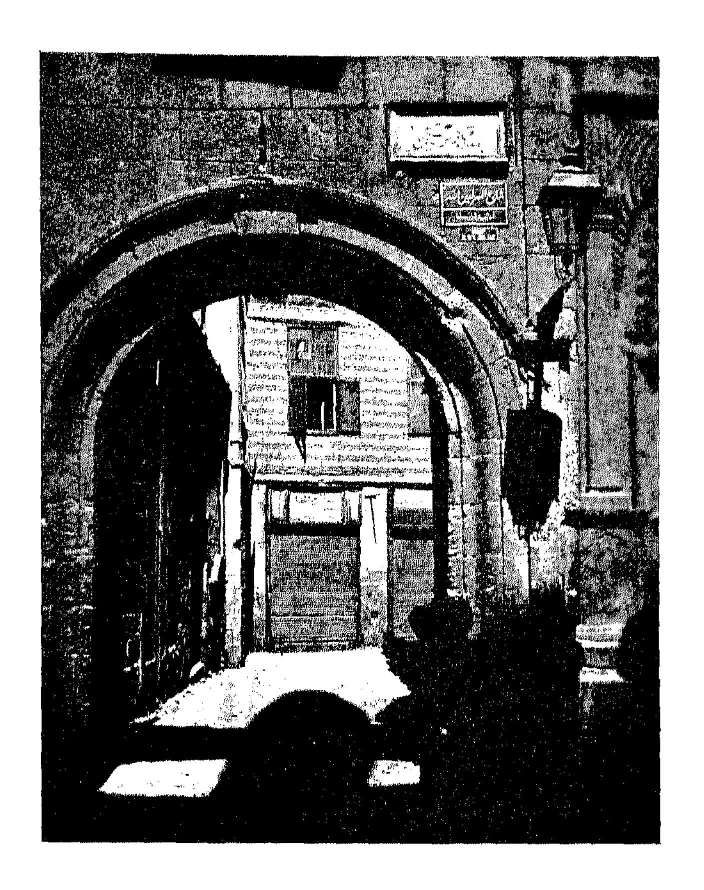


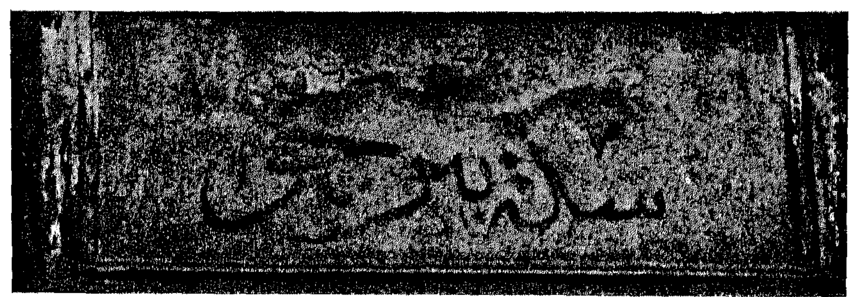


بوابة عطفة الحمام بالسكرية وعليها لافتة باسم العطفة



شارع الغورية والسقيفة أعلاه تجمع بين مسجد الغورى وقبته



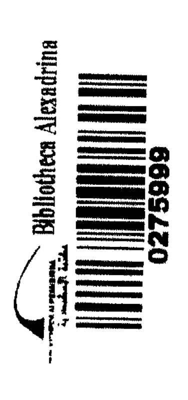


بوابة حارة برجوان وعليها لافتة (سكة بيرجوان)








Bibliotheca Alexandrina
0275999